سلسلة شروح فضيلة الشيخ ١٠

شرح مختصر في

أصول العقائد الدينية

للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله (ت ١٣٧٦هـ)

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

العبيقري

الشيخ لم يراجع التفريغ

شرح مختصر في

أصول العقائد الدينية

alanqri drangari alanqri1

للإعلام بالأخطاء الطّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة شروح فضيلة الشيخ ١٠

شرح مختصر في
أصول العقائد الدينية

للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله (ت ١٣٧٦هـ)

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد العزيز العنقري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

هذا المُصَنَّفْ، صَنَّفَهُ الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى-، وهو أحد علماء المملكة، وشيخ الشيخ العلامة محمد بن عثيمين -رحم الله الجميع-، وهو كما سماه -رحمه الله- مختصر، ذكر فيه أصول العقائد، كما سيأتي -إن شاء الله تعالى- ولم يذكر عليه فيه تفصيلا، ولم يذكر أدلة موسعة عليه، وهو نافع؛ لأنه كما سيأتي- إن شاء الله- جعله بمثابة الفهرست للمسائل.

سنشرح -إن شاء الله تعالى- ما دام موجزا هكذا في عموم الشرح، بعون الله تعالى، بحيث يكون تفسيرا للجمل، نظرا لقصر الكتاب فسيكون في عموم شرحنا الشرح بهذه الطريقة -إن شاء الله تعالى-.

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

۞ قال المصنف: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِه وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ، فَهَذَا مُخْتَصَر جدًّا فِي أُصُولِ العَقَائِدِ الدِّينِيَّة، وَالأُصُولِ الكَبِيرةِ المُهِمَّةِ، اقْتَصَرْنَا فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ الإِشَارَةِ وَالتَّنْبِيهِ، مِن غَيْرِ بَسْطٍ للكلام، وَلَا ذِكر أَدَلتها، أَقْرَبَ مَا يَكُونُ لَهَا أَنَّهَا مِن نَوْعِ الفَهْرست لِلْمَسَائِلِ؛ لِتَعْرِفَ أُصُولَها وَمَقَامَهَا وَمَحَلَّهَا مِنَ الدِّينِ، ثُمَّ مَن لَهُ رَغْبَةٍ فِي العِلْمِ يَطْلُبُ بَسْطَهَا وَبَرَاهِينَهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَإِنْ يَسَّرَ اللهُ وَفَسَحَ فِي الأَجَلِ، بَسَطْتُ هَذِه المَطَالِبَ وَوَضَّحْتُهَا بِأَدَلَّتِهَا».

هذه مقدمة المؤلف، عَرَّف بها بكتابه، وذكر أنه مختصر جدًّا أيضًا، وليس مجرد مختصر، وذكر أن موضوعه هو: «الأصول العقدية»، واقتصر على الأصول الكبيرة، وذكر أنه أيضًا يريدها على سبيل الإشارة والتنبيه، من غير بسط، **أي:** من غير توسع في الكلام، ومن غير تدليل أيضًا عليها.

❍ **قوله:** «أَقْرَبَ مَا يَكُونُ لَهَا أَنَّهَا مِن نَوْعِ الفَهْرست لِلْمَسَائِلِ» بحيث يمر عليه طالب العلم، ويذكره تذكيرا، كما يذكر الفهرست في الكتاب بموضوعاته.

قال: ومن يريد بسط هذه المسائل؛ فعليه أن يراجعها في أماكنها الموسعة من كتب الشروح.

ثم ذكر: أن الله إن يسر له مدة، قام هو بشرحها، كما فعل الشيخ العلامة حافظ حكمي -رحمه الله تعالى- فإنه في كتابه «معارج القبول» شرح «سلم الوصول»، والشرح الذي يشرحه، والنظم أو المختصر الذي يشرحه مُصَنِّفُهُ يكون على أحسن ما يكون من الشرح؛ لأن صاحبه أدرى بما فيه.

۞ قال المصنف: « الْأَصْلُ الْأَوَّلُ : التَّوْحِيدُ، حَدُّ التَّوْحِيدِ الْجَامِعُ لِأَنْوَاعِهِ هُوَ : اعْتِقَادُ الْعَبْدِ وَإِيمَانُهُ بِتَفَرُّدِ اللهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَإِفْرَادِهِ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ ؛ فَدَخَلَ فِي هَذَا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي هُوَ اعْتِقَادُ انْفِرَادِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَأَنْوَاعِ التَّدْبِيرِ، وَتَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ: إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ

وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ الْعُلْيَا، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَتَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ إفْرَادُهُ وَحْدَهُ بِأَجْنَاسِ الْعِبَادَةِ وَأَنْوَاعِهَا، وَإِفْرَادُهَا مِنْ غَيْرِ إشْرَاكٍ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا مَعَ اعْتِقَادِ كَمَالِ أُلُوهِيَّتِهِ، فَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ: إثْبَاتَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يُكِنْ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ، وَأَنَّهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَمَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ. وَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إثْبَاتُ جَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى للهِ تَعَالَى الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْإِيمَانِ بِهَا ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: إيمَانٍ بِالْأَسْمَاءِ، وَإِيمَانٍ بِالصِّفَاتِ، وَإِيمَانٍ بِإِحْكَامِ صِفَاتِهِ: كَالْعِلْمِ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ ذُو عِلْمٍ، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، قَدِيرٍ ذُو قُدْرَةٍ وَيُقَدِّرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ...إلَى آخَرَ مَا لَهُ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْمُقَدَّسَةِ».

بدأ بالأصل الأول، وهو التوحيد وهو أعظم الأصول على الإطلاق، فإن من لم يلق الله تعالى موحدا، فلا نصيب له في النجاة، فإنه إذا لقي الله تعالى مشركا، فقد حرّم الله تعالى عليه الجنة؛ فالتوحيد هو أعظم ما في دين الله، وهو أول ما يبدأ به.

أول ما بدأت به الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو التوحيد، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۘ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ثم قال آية جامعة في جميع ما تدعو إليه الرسل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فالرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا تبدأ بشيء أول من التوحيد.

وهو الذي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعلّمه من أراد الإسلام، فيأتيه الآتي ويسأله عن الإسلام فيقول: «**تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**».

ويرسل بذلك من يرسله إلي البلدان، كما في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما بعثه إلى أهل اليمن،

وقال: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ**»؛ فالبدء هو بالتوحيد، وهو الأساس، وهو الأصل.

ولما كان التوحيد هو الأصل الأعظم، اعتنى به العلماء -رحمهم الله تعالى- وبيّنوا أنواعه، والآيات القرآنية الدالة عليه، كما ذكرنا فيما تلون من الآيات السابقة، بأنه هو أول ما تبدأ به الرسل.

❍ **ولهذا:** أوّل ما نُلقنه من أراد الإسلام: أن نأمره بأن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ونعلمه معناها، ثم نخبره بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج؛ لكن أول ما يبدأ بكلمة التوحيد.

وإذا دنا أجله، فإنه يُلَقَّنُ كلمة التوحيد، بحيث يكون التوحيد أول ما يدخل به المرء إلى الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَه إِلَّا اللهَ دَخَلَ الجِنَّةَ**»؛ فالتوحيد هو الأساس وهو الأصل، ولأجل ذلك اعتنت به الأنبياء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذه العناية العظيمة، إذ التوحيد هو الأصل، وكل ما بعده من الأعمال مبنيٌّ عليه، فأي عمل يبنى على غير التوحيد لا ينفع صاحبه، وإذا وجد التوحيد ووجد عند الإنسان شيء من التقصير أو المعاصي، فإنه يكون من أهل التوحيد، فإنه حتى لو دخل النار لا يخلد فيها، لشرف التوحيد، وعظم قدر التوحيد.

❍ **ولهذا:** تعرف قاعدة مهمة جدًّا في الدعوة إلى الله، الدعوة إلى الله مبناها على التوحيد، مبنى الدعوة إلى الله التوحيد، فمن دعا إلى الله عَزَّوَجَلَّ وأغفل التوحيد فهو منحرف المنهج، حتى لو كثر عنده الناس وبلغوا الملايين؛ لأن البدء يكون بما بدأت به الرسل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو التوحيد وهو الأساس.

❍ **ولهذا:** لو تتأمل هذه الآيات القرآنية وجدت -ما لا يحصيه الإنسان إلا بكلفة- موضوعات القرآن في التوحيد، بل الحقيقة كما ذكر أهل العلم: أن آيات القرآن يمكن أن يقال: إنها إما في التوحيد مباشرة، أو في أمور تتعلق بالتوحيد.

فإما أن تكون الآية فيما يتعلق بالرب وصفاته، فهذه مرتبطة بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

وإما في الأمر بإفراد الله تعالى بالعبادة، وهذا مرتبط بتوحيد العبادة.

وإما في جزاء وعاقبة من استمسك بالتوحيد من الرسل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومن سلك مسلكهم، وهذا جزاء التوحيد، في الدنيا بالنصر، وفي الآخرة بالجنة.

وإما في عقوبة من خالف التوحيد ممن حاد الله عَزَّوَجَلَّ بأن سلط الله تعالى عليه الرسل، وأهل الإيمان، فَغُلِبَ، وَدُحِرَ في الدنيا، ثم إنه في الآخرة يكون في أهل النار.

❍ **لهذا:** قالوا إن آيات القرآن في التوحيد، كما ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبه نعلم أهمية تعليم التوحيد، والعناية به، وأن من أهم ما ينبغي: أن تبنى عليه مناهج المسلمين وإعلامهم، وتربيتهم، ودعوتهم: أنها للتوحيد، فإذا لم تكن على هذا الأساس، فهناك خلل هناك خلل في المسلك الذي يسلكونه، بدأ ببيان حد التوحيد وتعريفه.

❍ **قوله: «حَدُّ التَّوْحِيدِ الْجَامِعُ لِأَنْوَاعِهِ»**؛ لأن التوحيد كما سيأتي -إن شاء الله تعالى- أنواع، فأراد أن يعطيك الحد الجامع؛ لأنواع التوحيد كلها، فذكر: أن حده الجامع اعتقاد العبد وإيمانه بتفرد الله بصفات الكمال، وإفراده بأنواع العبادة، **أي:** أن التوحيد منه ما يتعلق بالاعتقاد، ومنه ما يتعلق بالعمل، فالاعتقاد في الاعتقاد بأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الرب المدبر المتصرف، وإقرار الأسماء والصفات الثابتة له عَزَّوَجَلَّ، وعبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هذا هو الحد الجامع له.

ويمكن أن يقال في تعريف التوحيد: بأن نبدأ بمعناه من حيث اللغة، التوحيد من الفعل الرباعي، وحد يوحد توحيدًا، **أي:** جعل الشيء واحدا.

ومعنى التوحيد عمومًا: إفراد الله بما يختص به، والذي يختص الله تعالى به:

ثلاثة أنواع: الربوبية، والأسماء والصفات، والألوهية، ثم يأتي الكلام -إن شاء الله تعالى- لاحقا في معنى كل توحيد.

❍ **قوله: «فَدَخَلَ فِي هَذَا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي هُوَ اعْتِقَادُ انْفِرَادِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَأَنْوَاعِ التَّدْبِيرِ»** توحيد الربوبية نسبة إلى الربّ سبحانه، بأن توحد الربّ في أفعاله هو، مِنْ خَلْقٍ وَرَزْقٍ وَتَدْبِيرٍ، وتوحيد العبادة على هذا: هو أفراد الرب بأفعال العباد، فيكون توحيد الربوبية: إفراد الرب بأفعاله هو سبحانه، من الخلق والرزق والتدبير، ويكون توحيد العبادة إفراد الله بفعل العبد نفسه، من

الدعاء، والذبح، والنذر ونحو ذلك.

كان كفار قريش يقرون: أن الله تعالى ربهم قطعا، والآيات القرآنية دالة على هذا، فما الذي جعلهم كفارًا مع أنهم يؤمنون بالربوبية؟ الربوبية: أمر فطري ركزه الله تعالى في فِطَر العباد، أنَّ لهم ربا خلقهم، والرسل -عليهم الصلاة السلام- أتت إلى قَومٍ يُقِرُّون بالرب، فلماذا صار هؤلاء القوم كفارا؟

الجواب: لأنهم أقروا بشيء من التوحيد وهو الربوبية، وأبوا الإقرار بالعبادة، الربوبية المتعلقة بأفعال الرب يُقِرُّون بها، لكنهم يقولون: فيما يتعلق بأفعالنا، لن نفرد الله بها.

الدليل على أنهم كانوا يقرون بأن الله تعالى هو ربهم: آيات كثيرة جدًّا في القرآن، ومنها الآيات التي مبدأها قوله تعالى: ﴿ وَلَـٰٓئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٦١] كقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، جوابهم واحد: أنه الله، وفي سورة يونس ذكر الله تعالى أربعة: إذا سُئلوها فجوابهم واحد أيضًا: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [سبأ: ٢٤]، وهكذا في سورة المؤمنون: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥] الآيات.

وهنا سؤال أيضًا: **فلماذا صاروا كفارًا إذن؟!**

الجواب: لأنهم يُقِرُّون بالأمر المتعلق بالرب، أنه هو خالقهم رازقهم، كما في سورة يونس، فيه: الإقرار بالرزق، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٣١]، فيه: الإقرار بالملك، ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [يونس: ٣١]، فيه: الإقرار بإخراج الحي من الميت، والميت من الحي، فيه: الإقرار بالتدبير كله، تدبير الأمر كما قال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة: ٥]، يُقِرُّون بهذا كله، فالأمور مرتبطة برب العالمين من حيث ربوبيته يُقِرُّون بها، لكنهم يَأْبَون أن ينصاعوا وينقادوا في أفعالهم هم، فلا يفردون الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يفردونه الدعاء، ولا يفردونه في الذبح، ونحو ذلك

من العبادات، لا بُدّ أن عندهم سببا، وشبهة معينة.

وقد بين الله شبهتهم، فقال: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، إذن فهم يطلبون الشفاعة في زعمهم بعبادة هذه المعبودات.

وشبهة أخرى هي قول الله تعالى عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] **أي:** أنهم يقولون، كما قال البغوي: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الزمر: ٣] يقولون هذا المعنى ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، فهم يزعمون: أن الله تعالى لا يُعْبَدُ مباشرة، وإنما يتقرب إلى من لهم جاه ومكانة عنده كالملائكة، والأنبياء والصالحين.

ولأجل ذلك فهذه الأصنام التي يصنعها الواحد منهم بيده، هو يعلم أنه هو الذي صنعها، فكيف يعبدها؟

نبّه ابن كثير وغيره من المفسرين، إلى أنهم يزعمون أن هذه الأصنام على صور مخلوقات معظمة، كالملائكة، يقولون: إذا اشتغلنا بعبادة هذا الصنم، الذي هو على صورة الملك، شفع لنا لك الملك عند الله، وقربنا زلفى، وإلا هم يعلمون أن هذه الأصنام كانت حجارة، وكانت خشبا، ثم جمعوها، فهم يعلمون أنهم هم الذين صنعوها، ولا يظنون بتاتا، ولا يقولون: إنها هي التي خلقت السموات والأرض، وهم الذين صنعوها.

بناءً عليه نعلم: أن هؤلاء المشركين عندهم إيمان، وعندهم شرك، وهل يجتمع الإيمان والشرك؟ نعم، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد ..وغير واحد: إن المعنى: أنهم يؤمنون: بأن الله هو الذي يخلق، ويرزق، ولكنهم يشركون في عبادته.

وقد ذكر هذا الطبري في تفسيره عن ثمانية من السلف رحمهم الله، ونقل في هذا عشرين رواية عنهم، فكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: من إيمانهم: إذا قيل لهم من خلق السماء، من خلق الأرض، من خلق

الجبال؟ قالوا: الله. فهذا إيمان؛ لأنهم يقولون: الله هو الذي خلقها. ثم قال: ﴿وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] **أي:** أنهم مشركون في عبادته، وهكذا قال نحوه قتادة، ومجاهد، وابن زيد، وعامر، وغيرهم ممن ذكرنا، عددهم ثمانية.

إذن: فهم كانوا يؤمنون: أن الله تعالى هو ربهم، لكنهم يزعمون: أن عبادته لا تكون مباشرة، وإنما يتقربون بعبادة معظمين يشفعون، إذ لهم مقام عند الله، فإذا تقرَّبوا إلى هؤلاء المعظمين، قربهم المعظمون إلى الله.

ولهذا: يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «هذه الشبهة: هي التي عليها المشركون قديما وحديثا» -سبحان الله- نفس الشبهة، هي هي، الذين يعبدون أصحاب القبور، ماذا يقولون؟ يقول: لهم منزلة، لهم جاها، ونحن إذا اتجهنا إليهم بأنواع القرب هذه، رفعوا دعاءنا إلى الله، نفس الشبهة؛ ولهذا يقول ابن كثير: هي شبهة المتقدمين والمتأخرين من المشركين، وهي واحدة، لأجل ذلك ينبغي أن يعرف التوحيد، وأن يعرف الشرك؛ لأن من لم يعرف التوحيد فقد لا يحققه، ومن لا يعرف الشرك فقد يقع فيه، فمن هنا تحدث -رحمه الله تعالى- عن هذا الأصل ابتداءً؛ لأن هذا أعظم الأصول، وأجل الأصول، وهو التوحيد، بعد أن عرفه هذا التعريف العام، ذكر أنه يدخل فيه توحيد الربوبية،

قول: «**هُوَ اعْتِقَادُ انْفِرَادِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَأَنْوَاعِ التَّدْبِيرِ**» ويدخل فيه: «**تَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ**»، الأسماء، **أي:** أسماء الله، والصفات: صفات الله، تحقيقك لتوحيد الأسماء والصفات بأن تثبت ما أثبت الله لنفسه في كتابه من أسماء وصفات، أو أثبت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه من الأسماء والصفات، فإذا أثبت هذه الأسماء والصفات التي أثبتها الله، ونفيت ما نفاه الله عن نفسه، فإن توحيد الأسماء والصفات يجمع الإثبات والنفي، بأن تثبت لله ما أثبت، وتنفي عن الله ما نفى وجمعته الآية العظيمة الجامعة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى: ١١] هذا نفي، نفي لأن يكون لله مماثل، عز اسمه وسبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبير، فليس لله مماثل، وفي الوقت نفسه أثبتت الآية، في نفس الآية، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فعلمنا أن توحيد الأسماء والصفات يتضمن: أن ننفي ما نفى الله،

وأن نثبت ما أثبت الله.

ولأجل هذا في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في قصة الصحابي الذي كان يقرأ بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وسورة معها، كان هو إمامهم، فإذا صلى بهم قرأ: بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وبسورة أخرى، فيقرأ في الصلاة أربع سور، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ومعها سورة في الركعة الأولى، في الركعة الثانية يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ومعها سورة، فقالوا: كأن هذه السورة لا تجزئك، إما أن تقتصر عليها، وإما أن تقرأ الأخرى فأبى، فقال عليه الصلاة والسلام: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ فَعَلَ ذَلِكَ؟**» فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحبها، فقال: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**».

الشاهد هنا: **قوله:** «لأنها صفة الرحمن»، صفة الرحمن في: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، في (سورة الإخلاص)، ففي (سورة الإخلاص) الإثبات والنفي، فيها الإثبات: باسم الله الأحد، واسم الله الصمد، وفيها النفي: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، الصحابي يقول للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَرَّهُ، لأنها صفة الرحمن، فعلمنا أن صفة الرحمن: أن نثبت ما أثبت الله، وننفي ما نفى الله، والمثال على هذا واضح في سورة الإخلاص، نثبت أن الله هو الأحد وهو الصمد، وننفي أنه عَزَّوَجَلَّ يلد أو يولد، أو أن يكون له كفوا أحدا.

فيكون الإنسان بهذا قد أثبت ما أثبت الله ونفى ما نفى الله، لأجل ذلك قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، يلحدون في أسمائه، ما معنى الإلحاد؟ أصل الإلحاد معناه: الميل، ومنه سمي اللحد في القبر سمي لحدا؛ لأنه إذا حفر القبر لا يوضع حفرة متساوية، بل إذا انتهى إلى الموضع الذي تكون فيه الجنازة ميل بي الحفر إلى جهة القبلة، فتوضع في اللحد الجنازة وسُمِّي لحدا؛ لأنه مائل عن سمت القبر، هذا معنى الإلحاد.

فالطريق المستقيم: إثبات ما أثبت الله، وإثبات ما أثبت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع نفي ما نفى الله، ونفي ما نفى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا الصراط المستقيم.

وهنا سؤال: **كيف يكون الإلحاد؟!**

الجواب: يكون بصور:

منها أن ينفي ما أثبت الله، أو أن يُثْبِت ما نفى الله، هذا معنى الإلحاد، **أي:** يميل، فيأتي إلى ما أثبت الله فينفيه، كيف تنفي ما أثبت الله؟ الله يثبت هذه الأسماء والصفات وأنت تنفيها إذا عندك إلحاد، ما معنى إلحاد؟ معناه: ميل، أو أن يثبت ما نفى الله، الله نفى عن نفسه المماثلة، وأنت تثبتها، كما تفعل المشبهة، أنتم الآن تثبتون المماثلة لله، إذن أنتم تثبتون ما نفى، فهذا الحاد، **أي:** ميلٌ عن الطريق المستقيم.

ومن نفى ما أثبت الله، قيل له: أنت الآن: ألا ترى ألا تثبت هذه الصفات، وهذه الأسماء، كيف تأتي إلى ما أثبت الله فتنفيه؟ إذا فأنت قد ألحدت في الأسماء، وفي الصفات: **أي:** ملت.

يوضح ذلك هذا المثال البيّن في الأحكام، حكم الصلاة في القرآن واجبة، حكم الفواحش في القرآن محرمة، الصراط المستقيم: أن تقول: الصلاة واجبة؛ لأن الله أوجبها، والفواحش محرمة؛ لأن الله حرمها، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] إذن واجبة، وقال: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ [الأنعام: ١٥١] إذن الفواحش محرمة، فلو عكس إنسانٌ، وقال الفواحش: غير محرمة، والصلاة غير واجبة، ماذا يُقَال؟ يقال: ألحدت، ما معنى ألحدت؟ **أي:** ملت؛ لأن الله يوجب، وأنت تنفي ثبوت ما أوجب الله، ويحرم وأنت تنفي ثبوت ما حرم الله، فكذلك يقال في الأسماء والصفات، يجب أن تُثْبت إذا أثبتها الله، وتنفى إذا نفاها الله، وكذلك إذا ما يتعلق بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]، فإذا أثبت الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه فهو حق، وإذا نفى شيء عن ربه فهو حق، يُنْفَى حيث نفى الرسول، ويثبت حيث أثبت الرسول، تماما كما أنا نثبت حيث أثبت الله وننفي، حيث نفى الله.

قوله: «وَتَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ: إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ الْعُلْيَا» لو تأملنا الآيات في القرآن، في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] لاحظ أنها اسم تفضيل، ولم يقل تعالى: ولله الأسماء الحسنة، بل قال: ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولما ذكر الله تعالى الصفات، قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾

[النحل: ٦٠]، ما قال: العالي، فلله أعظم وأجل الأسماء، وأعظم وأجل الصفات، فلهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهي التي قد بلغت في الحسن منتهاه، وليست مجرد حسنة بل حسني، حُسنى: صيغة تفضيل؛ لأن أحسن اسم تفضيا، وللمجموع يقال: حسنى، فتكون صيغة التفضيل على وزن الفعلة.

لما ذكر الله الصفات، قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ﴾ [النحل: ٦٠] ما قال: العالي، قال: ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، الأعلى أيضًا اسم تفضيل، على وزن أفعل، فلأجل ذلك من جاء لهذه الأسماء الحسنى، ولهذه الصفات العلا، وقال: إنها لا تليق بالله، يقال: هذا لفساد في فهمك واعتقادك، وإلا فالله تعالى ما سمى نفسه إلا بأجل وأعظم الأسماء، ولا وصف نفسه إلا بأجل وأعظم الصفات، فزعمك أنها لا تليق بالله لفسادٍ في اعتقادك أنت، وإلَّا فالمؤمنون يعلمون أن لله تعالى الوصف الأكمل.

فاسم العليم، وصفة العلم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، فصفة العلم: قد أحاط الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالذي كان، وبالذي يكون الآن، وبالذي سيكون في المستقبل، وبالذي لم يكن لو أنه كان كيف يكون؟ فدائما صفات الله واسعة ﷻ، وهكذا هذه الصفة العظيمة صفة الرزق، هذه الخلائق التي يرزقها جبار السماوات والأرض، كل الخلائق رزقها عند الله، الموجودة في البحر، والموجودة في البر، والطيور التي تطير، والبشر والجن، وحتى الدود الصغار، وما نبصر وما لا نبصر، ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩]، سعة صفة الرزق، فرزقه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ واسع؛ ولهذا سمى نفسه بالرزاق، على وزن الفعَّال صيغة مبالغة.

فهذه الأسماء على أجل ما يكون من المعنى، فمن فسدة فطرته، وقال: هذا الاسم لا يليق، أو هذه الصفة لا تليق، قال: لفساد في فطرتك أنت، وفي فهمك وعلمك، أما الذين يعلمون عظمة ربهم، فإنهم يعلمون أن لله من هذه الأسماء والصفات الأجل والأعلى والأرفع منها -عز اسمه- ولا حول ولا قوة إلا به، إذا أثبتنا الأسماء والصفات نراعي أن نتجنب أربع طرق وقع فيها أهل الزيغ:

الطريقة الأولى: التشبيه.

الطريقة الثانية: التمثيل.

الطريقة الثالثة: التحريف.

الطريقة الرابعة: التعطيل.

فنثبت لله هذه الأسماء والصفات، ولا نشبهها بصفات المخلوقين، صفات العلم التي لله عَزَّوَجَلَّ كما ذكرنا، يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

ويوصف المخلوق بالعلم؛ لكن كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] فكل مؤمن يعلم: أن علم الله ليس كعلم المخلوق، وأن سمع الله ليس كسمع المخلوق، وبصر الله ليس كبصر المخلوق.. وهكذا فيما يتعلق بالصفات كلها، وأعطانا الله القاعدة العظيمة ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، فنثبت لله عَزَّوَجَلَّ اسمين هما: السميع البصير، يتضمنان صفتين: السميع: يتضمن صفة السمع، والبصير: يتضمن صفة البصر، ونعلم أن السميع في المخلوقين، ليس كالسميع وهو الرب سبحانه، والبصير في المخلوقين، ليس كالرب تعالى البصير، ونسلك على هذه القاعدة.

❍ **قوله: « وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ»؛ التحريف:** هو التغيير، وهو الذي وقع فيه الجهمية، والمعتزلة، والكلابية، والأشعرية، والماتوريدية، وصنوف المتكلمين، يأتون إلى الصفة، فيقولون: هذه الآية معناها كذا، ويغيرون المعنى، فيغيرون المعنى، المعنى هذا فسره النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فسره الصحابة، فسره التابعون رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، واستقر معناه عند المسلمين، قبل أن توجد فرق الضلال من الجهمية ومن بعدهم، فجاءوا وغيروا معاني النصوص المعلومة عند المسلمين، فسُمُّوا بأهل التحريف؛ لأنهم يحرفون المعنى، وهذا العمل من أسوأ الأعمال، وقد كانت تعمله اليهود، كما قال تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٦] يغير معنى الكلام، فالكلام واضح والمعنى؛ ولهذا قال الله تعالى في القرآن العظيم: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [الزمر: ٢٨] ليس بأعوج، واضح

المعنى، وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢] **أي:** لأجل أن تعقلوا، **أي:** أن تفهموا، فهو واضح بلغة عربية واضحة.

فمن أتى إلى المعنى الذي فهمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأفهمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأفهمه الصحابة التابعين، ثم غيره فهو من أهل التحريف؛ ولهذا سموا بأهل التحريف، كما سيأتينا -إن شاء الله تعالى- النفاة، **أي:** ينفون المعنى الصحيح.

❍ **قوله: «وَلَا تَعْطِيلَ»** ما الفرق بين التعطيل والتحريف؟ التحريف يتضمن:

خطوتين اثنتين:

الخطوة الأولى: تعطيل المعنى الصحيح، مثل: الاستواء، المعنى الصحيح لاستوى على العرش، **أي:** ارتفع على العرش، هذا المعنى الصحيح، فيأتي إلى هذا المعنى ويعطله.

الخطوة الثانية: يأتي بمعنًى هو يخترعه، ويضعه بديلا عن المعنى الحق، فيقول: إن الاستواء الذي فسره السلف بأنه الارتفاع، والعلو على العرش، استوى على العرش، علا على العرش، يعطل هذا المعنى الصحيح، ويأتي بمعنًى من عنده باطل، ويقول معنى الاستواء: الاستيلاء.

فالتحريف: يتضمن خطوتين اثنتين، تعطيل المعنى الصحيح، والإتيان بمعنى باطل ووضعه بديلًا عن المعنى الصحيح.

والتعطيل: خطوة واحدة، يأتي إلى المعنى الصحيح ويعطله، **أي:** يعطل المعنى الصحيح.

❁ **فإذا قيل ما معناه؟!**

❍ **الجواب:** لو أنك الآن، قلت: إن الاستواء ليس معناه العلو على العرش، ما معناه؟ قال: لا أقول له معنى، فصاحب التحريف جمع جريمتين، عطل المعنى الصحيح، واخترع وابتدع معنًى باطلا، وصاحب التعطيل عنده جريمة، هي أنه عطل المعنى الصحيح، فلو قيل له: ما معنى النص الآن عندك؟ يقول: لا أقول له معنى، ليس له معنى، فلأجل ذلك صار هناك أهل تحريف، وهناك أهل تعطيل.

ثم تكلم رَحِمَهُ اللَّهُ عن توحيد العبادة، توحيد الألوهية، وذكر أنه إفراد الله بأجناس العبادة وأنواعها.

الجنس: أعم من النوع، فمثلًا: الذكر: جنس، من أجناس العبادة، أنواعه: التسبيح: نوع، التحميد:

نوع، التكبير: نوع. هذه كلها في جنس الذكر، فيفرد الله تعالى بأجناس العبادة وبأنواعها، ويفرد تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من غير أن يجعل له شريك في شيء منها، مع اعتقاد كمال ألوهيته.

توحيد الألوهية، قلنا: إن معناه إفراد الله بأفعال العباد، من الذبح، والنذر، والدعاء.. ونحو ذلك.

۞ وهنا سؤال خاص بالألوهية، وهو: ما معنى الألوهية؟

❍ **الجواب:** حتى يكون طالب العلم، إذا ردد كلاما يدري ما معناه؟ الإله من الفعل الثلاثي: ألهَ يقال: ألهَ يأله إلهة، بمعنى: عبد يعبد عبادة، فتوحيد الألوهية هو توحيد العبادة، والإله: هو المعبود، فقولنا: لا إله إلا الله، **أي:** لا معبود حق إلا الله، وبه نعرف معنى: كلمة التوحيد، أن معنى لا إله إلا الله: لا معبود حق إلا الله.

وأما إعراب هذه الكلمة، فتعرب كالتالي: **(لا)**: هي النافية للجنس، **(إله)**: اسم **(لا)** منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، أين الخبر؟ الخبر مقدر تقديره: فيكون **(لا إله)** تقديره: حق **(إلا الله)**، **أي:** لا معبود حق إلا الله.

۞ وعلى هذا: فهل هناك معبودات تعبد بالباطل؟!

❍ **الجواب:** نعم.. كل ما عُبِدَ من دون الله، فعبادته بالباطل، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بل كل معبود سواه فباطل من عرشه، حتى الحضيض الداني»، فعبادة الكواكب، عبادة الملائكة، عبادة الشمس، عبادة القمر، عبادة الأفلاك العلوية كلها باطلة، عبادة الصخور، عبادة الأشجار، عبادة الجن، عبادة الإنس كلها باطلة.

فمزية قولك: لا إله إلا الله: أن معنى: لا إله إلا الله: لا معبود حق إلا الله، أن كلَّ ما عبد من دون الله فهو باطل، وقد سمى الله عَزَّوَجَلَّ عبادة الملائكة، وعبادة الأنبياء، سماها كفرا، فقال: ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠]، فجعل عبادة الملائكة كفرًا، وعبادة النبيين كفرا، من عبد مَلَكًا فهو كافر، من عبد نبيًّا فهو كافر.

إذن من باب أولى من عبد صالحًا، من عبد شجرًا، من عبد حجرًا، من عبد جنًّا فهو كافر؛ لأنه يجب أن يُفْرَدَ الله وحده.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا ﴾ [مريم: ٩٣]، كل

المخلوقات هي عبيد لله عَزَّوَجَلَّ، من الملائكة من الجن من الإنس، جميع المخلوقات، كلها تأتي في القيامة عبيدٌ، أذلاء لرب العالمين ﷻ.

سؤال: ما الدليل على أن المحذوف المقدر في قولنا: (لا إله) أنه حق؟

الجواب: دل على هذا آيتان في سورة الحج، وفي سورة لقمان، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وفي سورة الحج: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، فبذلك علمنا: أن معنى لا إله إلا الله، لا معبود حق إلا الله؛ لأن **قوله:** ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ [الحج: ٦٢] ما معناها؟ **أي:** وأن ما يعبدون؛ لأن الدعاء أطلق في مواضع من كتاب الله على العبادة كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [غافر: ٦٠] فأطلق على الدعاء العبادة.

وقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه المشركين: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ [مريم: ٤٨، ٤٩] لأن الدعاء عبادة، وفي الحديث الصحيح: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، لعظم قدر الدعاء، فقوله ذلك بأن الله هو الحق، هو الحق ﷻ، وهو الذي عبادته حق، وأن ما يدعون، **أي:** وأن ما يعبدون من دونه الباطل، وكل ما عبد من دون الله فعبادته باطلة، كما قلنا، من ملائكة، من جن، من إنس، من شجر، من حجر، أيًّا كان فعبادته باطلة.

«لا إله إلا الله» مكونة من ركنين اثنين:

الركن الأول: هو النفي في قولك: «لا إله».

الركن الثاني: هو الإثبات في قولك: «إلا الله»، وقد ذكر الله تعالى الركنين، ومعنى هذين الركنين في أكثر من آية في كتابه، فقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، العروة الوثقى هي: لا إله إلا الله، من يكفر بالطاغوت هذا لا إله، الركن الأول: الطاغوت هو المعبود من دون الله إذا كان راضيا، ويؤمن بالله هذا هو الإثبات، في قولك: إلا الله،

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، العروة الوثقى: هي لا إله إلا الله.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، ومعنى: ﴿بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦] هذه نفي أم إثبات، ﴿بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٧] النفي، ﴿بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٧] لا إله. والإثبات: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٧].

وقد فهم الكفار أن هذا معنى لا إله إلا الله وهم كفار، قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ [الأعراف: ٦٥] هذا هو النفي: لا إله، وغيره: هذا هو الإثبات، إلا الله بما أجابوه؟ ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ﴾ [الأعراف: ٧٠] ففهموا أن لا إله إلا الله أن تترك المعبودات، وأن يعبد الله وحده.

وهكذا لما طلب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كفار قريش: أن يقولوا لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ﴾ [ص: ٥] بمعنى: أنه سيطلب منا أن نزيل جميع المعبودات من دون الله، وأن نفرد الله تعالى بالعبادة، نعم هذا هو المطلوب من لا إله إلا الله، فدل على أنهم فهموا لا إله إلا الله.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦] فعلموا: أن لا إله إلا الله لا بُدّ معها من ترك الآلهة، فلأجل ذلك أبوا أن يقولوا: لا إله إلا الله؛ لأن معنى لا إله إلا الله: إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه ﷻ.

لا إله إلا الله لها شروط سبعة، ينبغي لطالب العلم أن يعرفها، وقد جمعها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيت واحد، يستطيع طالب العلم أن يحفظ هذا البيت، ويعرف شروط لا إله إلا الله السبعة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

هذه هي شروط لا إله إلا الله.

العلم: أن يعلم الكلمة التي يقول، أن يعلم ما معناها. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، قال البغوي: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] علموا بقلوبهم ما شهدت به ألسنتهم، فيعلم أن معنى لا إله إلا الله كما ذكرنا: أنها نفي للمعبودات من دون الله، وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة.

يقين: أن يكون الذي نطق به بلسانه قد استيقن به قلبه.

إخلاص: لأن المنافقين يقولون: لا إله إلا الله، ثم لا تنفعهم؛ لأنهم غير مخلصين، فحتى وإن قالوا: لا إله إلا الله، فلا إله إلا الله لا تنفعهم؛ لأنهم يقولونها من غير إخلاص.

وهكذا بقية الشروط، وإذا أردت تفصيل هذه الشروط تجدها في كتاب «معارج القبول» للشيخ حافظ حكمي -رحمه الله تعالى- وفي «فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن، وقد يطول المقام بنا، وهناك من صنّف فيها مستقلة هي من العلم العظيم شروط لا إله إلا الله، بأن يعلم، ودلت عليها نصوص نبوية وقرآنية كثيرة، حتى أن الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه» اعتنى بها عناية عظيمة، في بدايات (كتاب الإيمان) ذكر الأحاديث الدالة على الإيمان ومعناه، واعتنى بالشروط التي لا بُدّ منها، كـ: (اليقين، والإخلاص، والعلم)، وذكر الأحاديث الدالة عليها بسنده -رحمه الله تعالى-.

هناك -عياذًا بالله- ما ينقض لا إله إلا الله، فكما أن لها شروطا لا تنفع قائلها إلا إذا جاء بها فكذلك لها ما ينقضها -عياذًا بالله- وذكرها أهل العلم، وهي كثيرة لكن من أشهرها عشرة نواقض، جمعها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمة الله تعالى عليه-، منها: الشرك بالله، ومن اتخذ وسائط بينه وبين الله، ومنها من صحح دين المشركين، أو شكَّ في كفرهم و-العياذًا بالله-، ومنها أيضًا: السحر، ومنها: من أعتقد أن أحدا يسعه الخروج عن شريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها: مظاهرة المشركين على المسلمين.. إلى غير ذلك من النواقض. وكذلك، منها: السخرية بشيء من دين الله عَزَّوَجَلَّ.

لكن هذه النواقض العشر التي ذكرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، قال: خصها؛ لأنها من أكثر ما يكون انتشارا، غير منتشرة، فالناقض عياذًا بالله يزيل عقد الإسلام، عن الإنسان، ومن أخطره الحقيقة أمر السخرية؛ لأنه يشيع في بعض الشباب مثل هذا الأمر يسخر بآية من القرآن -عياذًا بالله- أو بحديث، أو بحكم من

الأحكام الشرعية، أو -العياذ بالله- يسخر، أو يسب الله، أو يسب، أو يسخر بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعوذ بالله، هذه أمور موجبة لخروج الإنس من الملة نعوذ بالله من حال أهل النار.

بذلك يكون عندنا شيئا من الكلام العام، **أي:** لا نزال في الكلام العام فيما يتعلق بالتوحيد، وإلَّا توحيد الكلام فيه، يمكن أن يأخذ مدة أطول؛ لكن نشير بحسب الموجود هنا.

فدخل في توحيد الربوبية إثبات القضاء والقدر، إثباتك للقضاء والقدر داخل في توحيد الربوبية؛ لأنك إذا أثبت القضاء والقدر، تثبت أمرًا يتعلق بالرب، قلنا: إن توحيد الربوبية إثبات ما يتعلق بالرب، ومن ذلك أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي يقضي الأمور ويقدرها سبحانه وبحمده.

وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الأمر الذي يشاؤه الله هو الذي سيقع، والشيء الذي لا يشاؤه الله يستحيل أن يقع؛ لأن القدر عنده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأنه على كل شيء قدير، وأنه الغني الحميد، وما سواه فقير إليه من كل وجه.

❍ **قوله:** « **وَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِثْبَاتُ جَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى لِلهِ تَعَالَى الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**» لا بُدّ إذا أثبتنا الاسم أن نثبت معناه، فإذا قلنا: العليم، نثبت العليم اسمًا، ونثبت الصفة، خلاف ما تفعله المعتزلة الضُّلال من إثبات الاسم، ونفي المعنى، فهذا في الحقيقة أنه كفر بالاسم، فإذا قال: إن الله عليم لكن لا أثبت العلم، وقال: الله تعالى عليم؛ لأنه متصف بالعلم، فإذا قلت إنه عليم بلا علم، أنت في الواقع ما أثبت الاسم؛ لأن الله تعالى تسمى باسم العليم لأنه متصف بالعلم؛ ولهذا قال: «**وَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِثْبَاتُ جَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى لِلهِ تَعَالَى الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**»، والإيمان بها ثلاث درجات: إيمان بالأسماء، **أي:** الواردة في القرآن والسنة، الخالق الرازق الحي، ونحو ذلك.

وإيمانٌ بالصفات، كل اسم يتضمن صفة، فالعليم يتضمن صفة العلم، الرزاق يتضمن صفة الرزق، وهكذا، ونثبت الصفات حتى لو لم يتسمى بها، نثبت الصفة نفسها، كالاستواء على العرش، نثبته لله وإن لم يرد تسميته بالمستوي على العرش؛ لكن نقول: نثبت الصفة.

أما الاسم، إذا أثبتنا الاسم، فالاسم متضمن للصِّفَة لا بد، فنثبت الاسم والصفة، فإذا جاءت صفة لم يسمِّ الله تعالى نفسه بالاسم، المتعلق بالصفة، فإنَّ نثبت الصفة كما أثبت الله، وهكذا.

❍ **قوله:** «وَإِيمَانٍ بِأَحْكَامِ صِفَاتِهِ» يعني بأحكام صفاته، فعندنا مثلا: الرزاق، نثبته اسما، ونثبت الصفة، وهي الرزق، ونثبت الحكم، ما هو الحكم؟ أنه يرزق عباده، وهكذا السميع، نثبته اسما، ونثبت له السمع صفتًا، والحكم ما هو؟ أنه يسمع، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، الحكم، **أي:** أن اثبت الاسم: السميع، اثبت الصفة: السمع، اثبت الحكم، ما الذي يترتب على كونه: سميعا؟ يسمع أم، أنه سميع متصف بالسمع، أنه يسمع، هذا إذا كان الاسم متعديا، فيثبت له الاسم والوصف والحكم إذا كان الاسم لازمًا، فيثبت له الاسم والصفة، كالحي، نثبت الحي اسما والحياة صفة.

أما المحيي، فنثبته اسمًا، ونثبت صفة الإحياء، ونثبت الحكم، وهو أنه يحيي الموتى، فالحي لازم نثبت الاسم والوصف، أمَّا المحيي فمتعد، نثبت الاسم والوصف والحكم، وهو أنه يحيي، وهكذا وذكر عندنا موضوع العلم.

قال: «كالعلم»؛ لأنه عليم هذا اسم، ذو علم هذا الوصف، ويعلم، هذا الحكم، وهكذا القدير وغيره من الأسماء.

❍ **قال المصنف: «وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ إِثْبَاتُ عُلُوِّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ وَنُزُولِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ».**

لما علمنا القاعدة أنَّ نثبت لله عَزَّوَجَلَّ ما جاء في كتابه، وما جاء في سنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتضح لنا الطريق الآن، فجاءت النصوص بإثبات علو الله نثبته، جاءت بإثبات استواء الله على العرش نثبته، جاء بأن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر نثبته، وهكذا كل اسم وكل وصف.

جاء في الكتاب وصحت به السنة، فإن نثبته بعد أن عرفنا القاعدة، وإثبات ما أثبت الله ورسوله، ونفي ما نفى الله ورسوله.

❍ **قال المصنف: « وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي لَا يَنْفَكُّ عَنْهَا، كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ وَالْعُلُوِّ وَنَحْوِهَا، وَالصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ، وَهِيَ: الصِّفَاتُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، كَالْكَلَامِ وَالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالرَّحْمَةِ وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، كَمَا يَشَاءُ، وَأَنَّ جَمِيعَهَا تَثْبُتُ للهِ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِهَا».**

دخل في ذلك إثبات الصفات الذاتية، والصفات الفعلية، المؤمن يثبت جميع الصفات، ولا يضر المسلم أنه لا يعرف معنى الصفات الذاتية أو الفعلية لا يضر هذا، المهم يقول: ما أثبته الله لنفسه أنا أثبته، وما أثبته الرسول صلى الله وسلم لربه أنا أثبته.

أما هذه المصطلحات فليس من الضروري أن يعلمها، فنقول: لا يضرك، المهم أن تثبت ما أثبت الله، هذه هي القاعدة.

الصفات الذاتية: هي التي لا ينفك الرب عنها، ملازمة لله، كالسمع والبصر والعلم والعلو، ونحوها.

أما الصفات الفعلية: فهي الصفات المتعلقة بمشيئته، **أي:** إذا شاء فعلها.

❍ **قوله:** «كَالْكَلَامِ» ينبغي أن يكتب عليه ملحظ، المقصود: آحاد الكلام، وإلا فالكلام صفة ذاتية، وهكذا الخلق، فالخلق أصله صفة ذاتية، وآحاده هي الفعلية، وكذلك الرزق والرحمة.

الصفات المتعلقة بالمشيئة التي إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعلها، كالاستواء على العرش، الاستواء على العرش ليس ملازما لذات الله، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فدل على أن استواءه على العرش بعد خلق السموات والأرض، هذا معنى قولنا: صفات فعلية، شاء أن يستوي على العرش بعد أن خلق السموات والأرض.

وهكذا النزول إلى السماء الدنيا، من الصفات الفعلية؛ لأنه شاء أن ينزل إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، فالنزول إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير، ليس مثل صفة العلم؛ لأن العلم ملازم لذات الله، صفة ذاتية، أما النزول إلى سماء الدنيا فهو صفة فعلية.

الصفات الذاتية والصفات الفعلية، تثبت لله من غير تمثيل ولا تعطيل، وكلها قائمة بذاته، وهو موصوف بها، قائمة بذاته لإثبات: أنه متصف بها، إبطالا لقول من قال: إن الصفات منفصلة عنه، كما قالت المعتزلة، قالوا: إنه ذات بلا صفات عياذ بالله، أو قول من يقولون: إن الله لا يقوم بذاته صفة، بل هي صفات مضافة، وتَسَمَّى بها، أما أنها قامت بذاته، فيقولون: لا لم تقم بذاته، بل يقال: الاعتقاد الحق: أنها صفات قائمة بذاته، ولأجل ذلك صارت صفاتًا لله. أما لو قامت بغيره لم تكن صفات لله تعالى.

❁ **قال المصنف: «وَأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ يَقُولُ وَيَفْعَلُ، وَأَنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ**

إِذَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ، لَمْ يَزَلْ بِالْكَلَامِ مَوْصُوفًا، وَبِالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ مَعْرُوفًا»

لم يزل، ولا يزال يقول، ردًّا على من زعموا: أن الله تكلم في الأزل، ثم لم يتكلم بعد ذلك، لأنهم لا يثبتون الصفات الفعلية، يريدون أن تكون صفة ذاتية ولا يثبتونها صفة يتكلم بما شاء كيف شاء، وهذا كلام باطل بل الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم متى شاء، ومن يمنع الله من أن يتكلم -سبحان الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا-.

ومعلومٌ: أن الله تعالى كلم آدم، وكلم موسى، وكلم محمد صلى الله عليهم وسلم، تكلم إذا شاء، فالقول بأنه تكلم في الأزل ثم لم يتكلم هذا مقال فروع الجهمية، بل هو تعالى لم يزل ولا يزال يقول ويفعل.

وهكذا يكلم أهل الجنة، ويكلم أهل النار، والآخرة لم تأت، فيقول -عياذًا بالله-: ﴿اخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وهذا قوله لأهل النار، فيتكلم متى شاء، ويكلم ملائكته، فإذا أحب عبدا نادى جبريل: يا جبريل أني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا نادى جبريل: يا جبريل، إني أبغض فلانًا -عياذًا بالله- فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء، ثم توضع له البغضاء في الأرض، فيتكلم تعالى كما شاء متى شاء، من يمنع رب العالمين أن يتكلم؟

لكن مذاهب الضلال -عياذًا بالله- حالها حال الضلال، وهكذا يفعل ما يريد ﷻ، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

قال المصنف: «وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُود، وَأَنَّهُ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ حَقًّا، وَأَنَّ كَلَامَهُ لَا يَنْفَدُ وَلَا يَبِيدُ»

تكلّم عن موضوع القرآن لعظم شأن المسألة، مسألة القرآن، وهي التي وقف أهل السنة فيها الموقف العظيم أمام أهل الاعتزال والتجهم؛ لأن هؤلاء يعتقدون -أخزاهم الله- أن القرآن مخلوق، وقد أجمع أهل السنة على أن من قال: إن القرآن مخلوق أنه يكفر، القرآن كلام الله، وكلام الله صفته، وليس

شيء من الله مخلوقا -سبحان الله- عما يقول الظالمون علوا كبيرا، بل القرآن هو من كلام الله، وكلام الله عَزَّوَجَلَّ صفة من صفاته، وليس شيءٌ من الله مخلوقا، ولأجل ذلك قالت المعتزلة هذه المقالة؛ لأن المعتزلة عقيدتها الخبيثة: أن الصفات مخلوقة، أبى أن يوافق على هذا أهل السنة، وامتحنهم ثلاثة من خلفاء بني العباس، امتحانا ظلموا أهل العلم به مظلمة عظيمة، فصمد أهل العلم صمودا، وقتل من قتل منهم رحمهم الله، وسجن وعذب من سجن وعذب منهم.

وكان من أعظم من قام في هذا الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- حتى أنه قيل له: يا أبا عبد الله إن عرضت على السيف تقر بقولهم، قال: لا، العرض على السيف إكراه شرعا، قال: لا، حتى لو قتلوني؛ لأن ذلك سيتسبب في ضلال المسلمين، فهذه عقيدة كفرية، وكون الخلفاء يريدون أن ينصروا مقالة المعتزلة، يقول: أنا حتى لو قتلت ما أتسبب في إضلال المسلمين، فأصر -رحمه الله تعالى- وأُذِي أَذًى عظيما وسجنوه مدة، وجُلِد -رحمه الله تعالى-، وكاد يموت من شدة الضرب، وأبى، وفي كل مرة كان الخليفة يأتي إليه ويسعى إلى أن يوافق بعد أن يضرب، فيأبى -رحمه الله تعالى- حتى أنه من شدة الضرب أغمي عليه -رحمة الله تعالى عليه- وسيجمع الله تعالى الظالم بمن ظلمه، ويقضي بينهم.

فثبت أهل السنة؛ لأن القول بأن القرآن مخلوق كفر، واتفق على هذا أهل السنة؛ لأن هذا عين ما تقوله نفاة الصفات.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشرٍ من العلماء في البلدان»، **أي:** خمسمئة من العلماء، واللالكائي الإمام حكاه عنهم، بل قد حكاه قبله الطبراني، نقل اللالكائي عن أكثر من خمسمائة من علماء الأمة، من أهل العراق، والشام، ومصر، ومكة، والمدينة، ومجموعة من البلدان ذكرها -رحمه الله- وسردها، وسرد أسمائهم: أن من قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر؛ لأن القرآن من كلام الله، وكلام الله صفة من صفات الله.

فإذا قيل: إنه مخلوق، ترتب على هذا -والعياذ بالله- مقالة الكفر، فلهذا وقفوا هذه الوقفة، ونصوا على هذا في الاعتقاد ومنه ما ذكره المصنف هنا.

❍ **قوله: «دَخَلَ فِي ذَلِكَ» أي:** في الأسماء والصفات: «**الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ**» وأنه: «**مُنَزَّلٌ**» من عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ﴾ [السجدة: ٢] «**غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُود**» فمعنى: منه

بدأ، **أي:** أن الله تعالى تكلم به ابتداء، هو الذي تكلم، ولم يتكلم به غيره ﷻ، فالله ﷻ هو الذي قال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١، ٢] هو الذي قال: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، هو الذي قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢، ٣]، فهو الذي تكلم به.

أما جبريل عليه السلام سمع كلام الله ونزل به إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبلغهم كلام الله الذي نزل إليه، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۖ﴾ [آل عمران: ٢٠] ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧].

فهو كلام الله منزل غير مخلوق؛ لأن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، كما قلنا صفة من صفاته؛ فلا يكون منه تعالى شيئًا مخلوقا.

❍ **قوله: «مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُود»**، إليه يعود في آخر الزمان، يسرى على القرآن، فلا يبقى والعياذ بالله في الصدور منه شيءٌ، ولا في السطور منه شيءٌ، حتى المصاحف تفتح، يرفع القرآن، والذي في صدره شيء منه يكون قد رفع، وهذا في آخر الزمان عياذًا بالله قرب قيام الساعة.

ولهذا قال: **«وإليه يعود»** فالقرآن من الله بدأ واليه يعود بحيث والعياذ بالله، لا يوجد في الأرض منه شيء؛ لأن الله رفعه فلم يوجد حتى في المصاحف التي كتبت غير موجود فيها؛ لأن الله يعيده، وحتى من كان يحفظ منه شيئا، فإنه لا يجد في صدره شيئا، منه بدأ وإليه يعود.

❍ **قوله: «وَأَنَّهُ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ حَقًّا»**، الذي تكلم بالقرآن هو الله، وأن كلامه تعالى لا ينفد ولا يبيد ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] فكلام الله لا ينفد أبدا.

۞ **قال المصنف: «وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ عَلِيٌّ أَعْلَى، وَأَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ كَمَالِ عُلُوِّهِ وَكَمَالُ قُرْبِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ وَصِفَاتُهُ».**

الله عَزَّوَجَلَّ في العلو، كما دلت على هذا النصوص الكثيرة، كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾

[الملك: ١٦]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] والآتي من عند الله يعبر عنه بالتنزيل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]، وكذلك حديث المعراج واضح: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرج به إلى السماء الدنيا، ثم التي تليها، ثم التي تليها، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، ثم ارتفع به إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، أقلام الملائكة الكتبة، ثم كلمه الله تعالى مباشرة، فسمع كلام الله؛ لأن الله تعالى في العلو، فهو عَزَّوَجَلَّ في العلو، ويدنو كما شاء، ويقرب كما شاء، لا منافاة بين كمال علوه، وكمال قربه؛ لأنه ليس كمثله شيء، فأين الله؟ في السماء ..لا شك، وهو الذي قاله عليه الصلاة والسلام للجارية، قال: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قالت: فِي السَّماء، قال: «**مَنْ أَنَا؟**» قالت: رسول الله، قال: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَة**»، شهد لها بالإيمان؛ لأن عقيدتها صحيحة.

ومع ذلك فإنه يقرب ﷻ كما شاء، ويدنو كما شاء، إليه المرد في ذلك، لا منافاة بين كمال علوه، وكمال قربه؛ لأنه ليس كمثله شيء.

۞ قال المصنف: «وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَأَحْكَامِهَا عَلَى وَجْهٍ يَلِيقُ بِعَظَمَةِ الْبَارِي، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا أَنَّهُ لَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ، فَلَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ فِي صِفَاتِهِ».

لا يتم لأحد الإيمان بالأسماء والصفات، إلا إذا أمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة، أما من يفعل فعل المعطلة، فبعض المعطلة يؤمن ببعض الصفات ويرد بعضا، فنقول: لم تحقق الإيمان بالأسماء والصفات، الأسماء والصفات أمر واحد باب واحد، فكيف تؤمن بالعلم وتتأول الاستواء؟! قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ۝٣ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۝٤ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [الرحمن: ١ - ٥]، فلا يقر هذه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: ٦] فيقر بملك الله، ويقر بالعلم؛ لكن يأبى الإقرار بالاستواء، الآن هذا كتابٌ واحدا، وسورة واحدة تقر بشيء تهواه، وترد شيئا لا تهواه، هذا عبث.

يجب أن تقر بجميع وصفاته، الواردة في القرآن والواردة في السنة، ولا يتم الإيمان لك إلا بهذا،

بحيث لا يجعل المسألة مسألة تشهي، يقر ببعض ويرد بعضا، بل يؤمن بها كلها.

○ **قوله: «حَتَّى يُؤْمِنَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَأَحْكَامِهَا»** على ما شرحنا **«عَلَى وَجْهٍ يَلِيقُ بِعَظَمَةِ الْبَارِي، وَيَعْلَمُ»** ويعلم هذه القاعدة **«أَنَّهُ كَمَا أَنَّهُ لَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ، فَلَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ فِي صِفَاتِهِ»** هذه قاعدة عظيمة لله ذات لا تماثل ذوات المخلوقين، فكذلك صفات رب العالمين لا تماثل صفات المخلوقين.

وهذه القاعدة تستعمل مع نفات الصفات؛ لأنهم يقرون بذات الله، فإذا قيل لهم ذات الله أليست ذاتًا ترق لا تشابه ذوات المخلوقين، يقولون: بلى، قال: كذلك الصفات، نثبت له صفات تليق به، لا تشابه صفات المخلوقين، فكما أنكم أثبتم الذات تليق بالله، فأثبتوا الصفات، فأما أن تثبتوا الذات، وتقول: لا نثبت الصفات، فهذا من التفريق كما قلت، أو أن تثبت بعض الصفات وترد بعض الصفات، كل هذا من الضلال والانحراف، بل تثبت لله تعالى ما أثبت لنفسه أيا كان هذا الذي أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ **قال المصنف: «وَمِنْ ظَنَّ أَنَّ فِي بَعْضِ الْعَقْلِيَّاتِ مَا يُوجِبُ تَأْوِيلَ بَعْضِ الصِّفَاتِ عَلَى غَيْرِ مَعْنَاهَا الْمَعْرُوفِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِينًا».**

هؤلاء الذين يقولون: دل على هذا، نقول: ليس عقلا، هذا هوى بنص القرآن، قال تعالى، واحفظ هذه الآية؛ لأنها تريد على المبطلين في القديم وفي الحديث إلى قيام الساعة: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ ﴾ [القصص: ٥٠]، فالذي لا يستجيب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقال هذا الرجل عنده علم حديث، أو عنده عقل، بل المسألة هوى، ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ ﴾ [القصص: ٥٠]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «فما ثم إلا طريقان، إما الاستجابة لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإما الهوى»؛ لكن صاحب الهوى كما تعلم لا يمكن أن يدعو الناس فيقول: تعالوا اتبعوني في هواي، ليس هناك أحد يقول هذا، وإنما يسمي الهوى باسم يجريه بين الناس، يكون له بريق، فالمعتزلة والمتكلمون يقولون: نحن نقدم العقل، يقال: أعقل بني آدم على الإطلاق الرسل صلى الله عليهم وسلم، ثم أعقل بني آدم بعد الرسل أصحابهم، فأعقل الأمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد

رسول الله أعقل الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والمهاجرون والأنصار.

فهم أثبتوا وأنتم نفيتم، فأهل العقل الحقيقي أثبتوا، وأنتم نفيتم، فأنتم المتهمون في عقولكم لا أولئك حاشاهم ثم حاشاهم، فكونكم تقولون: دل على هذا العقل، **أي:** عقل، هذه أهواء، يسميها أصحابها بأسماء لها بريق ولمعان، كما جاء في الحديث: أنهم في آخر الزمان يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها؛ لأنه لو قالوا: تعالوا نشرب الخمر نفر الناس؛ لكن إذا سموها باسم آخر، أخرجوها بزعمهم من الاسم الممقوت المذموم ظنوا أن ذلك كافي والحكم واحد، فكذلك فيما يتعلق بالعقل، حين قالوا: إن العقليات تدل على أن بعض الصفات ينبغي أن تزال عن معناها المعروف، يقول: فقد ضل؛ لأن هذا هوى، وليس من العقل في قليل ولا كثير.

۞ قال المصنف: «وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ حَتَّى يَعْتَقِدَ الْعَبْدُ أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ للهِ وَأَنَّ مَشِيئَتَهُمْ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللهِ».

هذا ما يتعلق بالقدر، توحيد الربوبية لا يتم إلا بالإقرار بالقدر؛ لأن القدر فعل الرب، قلنا: إن أفعال الرب هي المرادة بتوحيد الربوبية، ومن ذلك أن يعتقد: أن أفعال العباد مخلوقة، قلنا: إن العبد مخلوق، وكذلك أفعاله مخلوقة، ومثَّلنا على هذا في درس الأمس، قلنا: إن الله عَزَّوَجَلَّ خلق لك يدًا، فيكون الحركة هذه التي تتحرك بها، الله خلق اليد وخلق حركتها؛ ولهذا تحريكك اليد هكذا، هذا فعلك أنت؛ لكن الله خلق اليد وخلق فيها الحركة، فالفعل منسوب إليك أنت، والخلق خلقك الله وخلق حركاتك.

ولهذا المشلول لا يستطيع أن يمد يده.. لما؟ لأن الله لم يخلق له الفعل، فلو أراد أن يحرك يده لا يستطيع؛ لأن الله قد شلها، فالله خلق العبد وخلق أفعاله.

ولو لم يخلق لك الله عَزَّوَجَلَّ هذه الحركة، ما استطعت أن تتحرك، فالحركة هذه فعل لك أنت، حركة أخذك الكوب هذا.. فعل، ينسب إليه؛ لكن من الذي خلق العبد؟ الرب هو الذي خلقه، وخلق أفعاله، ولو لم يخلق لك الله عَزَّوَجَلَّ المشي لكنت مقعدا، ما تستطيع المشي.

وهكذا الأخذ والإعطاء، لو شل تعالى اليد ما استطعت، هذا معنى قولهم: إن الله خلق العبد وخلق أفعاله.

۞ قال المصنف: «وَأَنَّ لَهُمْ أَفْعَالاً وَإِرَادَةً تَقَعُ بِهَا أَفْعَالُهُمْ، وَهِيَ مُتَعَلِّقُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَأَنَّهُ لَا يَتَنَافَى الْأَمْرَانِ: إِثْبَاتَ مَشِيئَةِ اللهِ الْعَامَّةِ الشَّامِلَةِ لِلذَّوَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ، وَإِثْبَاتِ قُدْرَةِ الْعَبْدِ عَلَى أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ».

إذا أثبتنا أن الله تعالى هو خالق العبد وخالق أفعاله، هذه الأفعال منسوبة للعبد، والعبد هو الذي يريدها وهي متعلق الأمر والنهي، يتعلق الأمر والنهي بالعبد الذي عنده إرادة ويتمكن من الفعل، أما الذي ليس عنده إرادة، أو في حكم معدوم الإرادة كالمجنون، هذا لا يكلفه الله.

وهكذا الفعل يؤاخذك الله بالفعل المرتبط باختيارك، فأنت حين تأخذ هذه الكوب، هذا فعلا اخترته، بخلاف الفعل غير الاختياري، فالفعل غير الاختياري لا يؤاخذك الله عليه؛ لأن العبد يكون عنده أفعال اختيارية، وأفعال غير اختيارية، فالأفعال غير الاختيارية مثل ما ذكرنا حركة المرتعش، أو مثل إنسان معه ابنه الصغير، من أحب الخلق إليه ثم يسقط من بين يديه، وقد ينكسر، وقد يموت، هو لم يرم ابنه؛ لكن هذا فعل غير اختياري.

إذن هذه الأفعال للعبد فعل، وله إرادة، تقع بها الأفعال، الفعل والإرادة هي متعلق الأمر والنهي، وعلى هذا نعرف أنه لا يتنافى الأمران، إثبات مشيئة الله العامة الشاملة للذوات والأفعال والصفات، وإثبات قدرة العبد على أفعاله وأقواله.

فالمشيئة العامة لله، وللعبد مشيئة، مشيئة العبد لا يمكن أن تنفذ إلا إذا شاء الله؛ لكن هل للعبد مشيئة؟ قطعا له مشيئة، وأكثر أفعال العبد العاقل بمشيئته، واختياره والذي يذهب ويجيء، يعطي ويمنع، يصلي، ويصوم، أو يعصي ويفجر، أفعال يشاؤها ويتعمدها، فما دام عنده أمر المشيئة، وأمر الفعل صدر منه، فإنه يجازى بحسب ذلك إن خيرا فخير وان شرا فشر.

مشيئة العباد تابعة لمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، أي أنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، لا يمكن أن تنفد مشيئة العباد إلا إذا شاءها الله، فما تشاءه أنت لا يمكن أن يتم إلا إذا شاءه الله عَزَّوَجَلَّ، أما إذا لم يشأه تعالى فإنه لا يمكن أن ينفذ.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد(١).

(١) نهاية الدرس الأول.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

قال المصنف: «وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ الْعَبْدِ، حَتَّى يَخْلُصَ الْعَبْدُ لِلَّهِ تَعَالَى فِي إِرَادَتِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَحَتَّى يَدَعَ الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ الْمُنَافِي لِلتَّوْحِيدِ كُلَّ الْمُنَافَاةِ، وَهُوَ أَنَّ يَصْرِفَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى، وَكَمَالَ ذَلِكَ أَنْ يَدَعَ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ، وَهُوَ كُلُّ وَسِيلَةٍ قَرِيبَةٍ يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ، كَالْحِلْفِ بِغَيْرِ اللهِ وَيَسِيرَ الرِّيَاءِ وَنَحْوُ ذَلِكَ. وَالنَّاسُ فِي التَّوْحِيدِ عَلَى دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ بِحَسَبِ مَا قَامُوا بِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ وَالْقِيَامِ بِعُبُودِيَّتِهِ. فَأُكْمِلَهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ عَرَفَ مِنْ تَفَاصِيلِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَآلَائِهِ وَمَعَانِيهَا الثَّابِتَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَفَهِمَهَا فَهْمًا صَحِيحًا، فَامْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ وَتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابِ جَمِيعِ دَوَاعِي قَلْبِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ وَحْدَهِ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَوَقَعَتْ جَمِيعَ حَرَكَاتِهِ وَسُكُنَاتِهِ فِي كَمَالِ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ التَّامِّ الَّذِي لَا يَشُوبُهُ شَيْءٌ مِنْ الْأَغْرَاضِ الْفَاسِدَةِ، فَاطْمَأَنَّ إِلَى اللهِ مَعْرِفَةً وَإِنَابَةً وَفِعْلاً وَتَرْكًا وَتَكْمِيلًا لِنَفْسِهِ، وَتَكْمِيلاً لِغَيْرِهِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ، فَنَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ».

أتمّ -رحمه الله تعالى- ما يتعلق بأمر إكمال التوحيد، أن التوحيد لا يتم حتى يخلص العبد لله.

ومعنى الإخلاص: تصفية العمل من شوائب الشرك، يخلص لله في ماذا؟ في إرادته وقصده ونيته، يخلص لله في أقواله التي يقولها بلسانه، يخلص لله في أفعاله التي يفعلها، وحتى يدع نوعين من الشرك:

أما الشرك الأول، فهو الشرك الأكبر المنافي للتوحيد كل المنافاة، فإذا قيل: ينافي التوحيد كل المنافاة، فمعناه: أنه ينافي التوحيد من أصله، فيزول التوحيد معه، ويكون الواقع في هذا مشرك شركًا أكبر، كمن صرف الدعاء الذي لا يصرف إلا لله، صرفه لغير الله، أو ذبح متقربا لغير الله، فهذا زال عنه التوحيد

إن كان مسلم.

ضابط الشرك الأكبر ما بينه هنا، فقال: أن يصرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله، أن يصرف أي نوع، ليس لزاما أن يصرف جميع أنواع التوحيد، إذا صرف نوعًا واحدًا كالدعاء، صرفه لغير الله أشرك، وهذا ضابطه.

النوع الثاني من الشرك الذي لا بُدّ من أن يتجنبه المخلص: هو الشرك الأصغر، وسمي أصغر بالنسبة للأكبر، وإلا فهو قبيح؛ لكن لما كان الأكبر يخرج من الملة، سمي هذا بالأصغر؛ لأنه لا يصل إلى درجة الأكبر، وإلا فهو من عظائم الذنوب.

ما ضابط الشرك الأصغر؟ بيّنه أيضًا؟ قال: «كُلُّ وَسِيلَةٍ قَرِيبَةٍ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ» وقد تقدم أن الشرك الأكبر صرف نوع من العبادة لغير الله، والشرك الأصغر ما قد يوصل إلى هذا الشرك الأكبر، كالحلف بغير الله، ويسير الرياء، الحلف بغير الله: الأصل أنه شرك أصغر؛ لكن كيف يمكن أن يوصل إلى الأكبر، لو اعتقد في المحلوف به كما يعتقد في الله عَزَّوَجَلَّ يكون أكبر، وقد يوصله إلى هذا.

❍ **قوله:** «وَيَسِيرَ الرِّيَاءِ» لأن الرياءَ نوعان:

❍ **النوع الأول:** يقع من المنافقين، ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢] هذا رياء أكبر، ولا يصدر إلا من كفار، أما يسير الرياء فيقع من المسلم، نعوذ بالله من شره، وذلك أنه يريد الله قطعا؛ لكن ربما مثلا حَسَّنَ في العبادة في الصلاة، وربما أطال فيها، عن الوضع الذي كان يصلي عليه لو لم يره الناس.

وينبغي الحذر هنا من الوسواس؛ لأن بعض الناس قد يحمله الخوف من الرياء على أمر مذموم، وهو أن يترك العمل، والقربة إذا رآه الناس، وهذا خطأ، فلا يترك العمل للناس، ولا يعمل للناس.

وضابط العمل المخلص: أنك إذا كنت ستعمل هذا العمل على كل حال في خلوتك أو أمام الناس، فأنت فيه مخلص، مثلا: لو أن إنسانا إذا رأى فقيرًا من طبعه أنه يعطيه صدقة، فسواء أعطاه ولا أحد يراه أو أعطاه الناس يرونه، الأمر عنده سيان هو سيعطيه، وهكذا إذا كان يصلي، إذا كان يصلي في بيته مثلا الركعتين في مدة خمس دقائق، فإذا جاء إلى المسجد وصلى في خمس دقائق قد يتميز عن غيره من كثير ممن يعجلون في النوافل، فهل هو مخلص أو غير مخلص؟ يقال: الضابط واضح، إذا كان يصلي في

المسجد، كما يصلي في البيت فهو مخلص؛ لأن هذه هي صلاته، أما إن كان يصلي في البيت مستعجلا، ويصلي أمام الناس متأنيا، فهذه من علامات عدم الإخلاص.

المهم: أن يكون الإنسان مخلصا متجنبا للرياء، وأيضًا متجنبا للوسواس، حتى لا يقع في نوع من الوسوسة، تحمله على ترك العمل لله عَزَّوَجَلَّ.

❍ **قوله: «وَنَحْوُ ذَلِكَ»** الشرك الأصغر لا ينافي أصل التوحيد؛ لكن ينافي كمال التوحيد الواجب، فيأثم ويحبط العمل الذي يقارنه هذا الرياء؛ لكن لا شك أنه مسلم، وأعماله الأخرى التي أخلص بها مقبولة، بينما الشرك الأكبر هذا هو الذي والعياذ بالله تحبط معه الأعمال.

لا يتم التوحيد للعبد حتى يجتنب الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

بعد ذلك ذكر أن الناس بتوحيد في التوحيد وتحقيقه درجات متفاوتة؛ لأن الإيمان يزيد وينقص، واليقين في القلب يتفاوت، فمن الناس من قام بالتوحيد حق القيام، من جهة معرفته بربه، وعبوديته لله تعالى، أكمل المؤمنين في هذا من عرف تفاصيل أسماء الله وصفاته؛ لأن علم أسماء الله وصفاته، علم يحمل العبد على تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ، ويترتب عليه خضوعه لله، تأمل هذه الآية: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، انظر كيف الآن الترتيب للحذر رتبه الله على أن تراعي: أن الله يعلم ما في نفسك، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فرتب عليه بالفاء، فقال: ﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]؛ لأن الله يعلم ما توسوس به نفوسكم، بالتالي احذروا؛ لأن المخلوقين لا يدرون ما الذي في نفسك؛ لكن الله يعلم ما في نفسك فاحذر الله، أن تقصد بعمل من الأعمال غير الله عَزَّوَجَلَّ، فالله مُطلعٌ عليك.

فإن تفاصيل علم الأسماء والصفات من أعظم ما يعين الإنسان على تقوى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لذا قال: «**فَأُكْمِلَهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ عَرَفَ مِنْ تَفَاصِيلِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَآيَاتِهِ وَمَعَانِيهَا الثَّابِتَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**» بأن يعرف المعاني، معنى الرزاق، معنى العليم، معنى الحليم.

❍ **قوله: «وَفَهِمَهَا فَهْمًا صَحِيحًا، فَامْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ وَتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابِ جَمِيعِ دَوَاعِي قَلْبِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى»** ووقعت جميع حركاته، وسكناته في كمال الإيمان،

والإخلاص التام، الذي لا يشوبه شيء من الأغراض الفاسدة، ولا يعني ذلك أنه يكن ملكا من الملائكة، لا يزل، لا يخطئ، بل يقع منه؛ لكن من حيث العموم هو مستحضر عظمة ربه تعالى، وإذا وقع منه شيء من الأخطاء عاد لله سريعا، فأول ما يقع في خطأ من الأخطاء بصفته بشرا يعود لربه، ولا يصر كما قال تعالى ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فيعود إلى الله تعالى، ويترك عن نفسه البحث عن الأعذار، **أي:** إذا أخطأ الإنسان يكفيه خطأه، لا يجلس يبحث عن أعذار، ويبحث عن أقوال، بل يكفيك أنك أخطأت وأذنبت، فأقر لله بخطاك واستغفر.

فمن وفق لتكميل نفسه هذا التكميل، فإنه يكون قد بلغ ما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤]، وهم كمل الإيمان نسأل الله الكريم من فضله.

❁ قال المصنف: «الْأَصْلُ الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِنُبُوَّةِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ عُمُومًا، وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُصُوصًا. وَهَذَا الْأَصْلُ مَبْنَاهُ عَلَى أَنْ يَعْتَقِدَ وَيُؤْمِنَ بِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ اخْتَصَّهُمْ اللهُ بِوَحْيِهِ، وَإِرْسَالِهِ، وَجَعَلَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُلُقِهِ فِي تَبْلِيغِ شَرْعِهِ وَدِينِهِ. وَأَنَّ اللهَ أَيَّدَهُمْ بِالْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ وَصِحَّةِ مَا جَاءُوا بِهِ، وَأَنَّهُمْ أَكْمَلُ الْخُلُقِ عِلْمًا وَعَمَلاً، وَأَصْدَقَهُمْ وَأَبَرَّهُمْ وَأَكْمَلَهُمْ أَخْلَاقًا وَأَعْمَالاً. وَأَنَّ اللهَ خَصَّهُمْ بِخَصَائِصَ وَفَضَائِلَ لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ، وَأَنَّ اللهَ بَرَّأَهُمْ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ. وَأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ فِيمَا يُبَلِّغُونَ عَنْ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ فِي خَبَرِهِمْ وَتَبْلِيغِهِمْ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّوَابُ. وَأَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِمْ وَبِكُلِّ مَا أُوتُوهُ مِنْ اللهِ تَعَالَى وَمَحَبَّتُهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ، وَأَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ ثَابِتَةٌ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ. وَأَنَّهُ يَجِبُ مَعْرِفَةُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ الشَّرْعِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، وَالْإِيمَانُ بِذَلِكَ وَالْتِزَامُ طَاعَتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِتَصْدِيقِ خَبَرِهِ وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ. وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ قَدْ نَسَخَتْ شَرِيعَتُهُ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ وَأَنَّ نُبُوَّتَهُ وَشَرِيعَتَهُ بَاقِيَةٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَلَا شَرِيعَةَ غَيْرَ شَرِيعَتِهِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَيَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ، فَالْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتَضِي الْإِيمَانَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَلْفَاظَهَا وَمَعَانِيهَا فَلَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِهِ إِلَّا بِذَلِكَ. وَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ عِلْمًا بِذَلِكَ وَتَصْدِيقًا وَاعْتِرَافًا وَعَمَلاً كَانَ أَكْمَلَ إِيمَانًا. وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْقَدَرِ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ. وَمِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ أَوْ حِسِّيٌّ عَلَى خِلَافِهِ، كَمَا لَا يَقُومُ دَلِيلٌ نَقْلِيٌّ عَلَى خِلَافِهِ، فَالْأُمُورُ الْعَقْلِيَّةُ

أَوْ اَلْحِسِّيَّةُ اَلنَّافِعَةُ تَجِدُ دَلَالَةَ اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُثْبِتَةً لَهَا، حَاثَّةً عَلَى تَعَلُّمِهَا وَعَمَلِهَا، وَغَيْرِ اَلنَّافِعِ مِنْ اَلْمَذْكُورَاتِ لَيْسَ فِيهَا مَا يَنْفِي وُجُودَهَا، وَإِنْ كَانَ اَلدَّلِيلُ اَلشَّرْعِيُّ يَنْهَى وَيَذُمُّ اَلْأُمُورَ اَلضَّارَّةَ مِنْهَا. وَيَدْخُلُ فِي اَلْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ اَلرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ وَسَائِرَ اَلرُّسُلِ».

ذكر هنا الأصل الثاني، وأدخل -رحمه الله- فيه: الإيمان بالملائكة، والإيمان بالقدر، وأدخل فيه أيضًا الإيمان بالكتب، والمعروف: أن الأصول: ستة: الأصل الأول: الإيمان بالله، والثاني: الإيمان بالملائكة، ثم الكتب، ثم الرسل، ثم اليوم الآخر، ثم القدر؛ لكن كأنه رأى فيما يظهر أنه لما كانت الأنبياء أتت بهذا من عند الله عَزَّوَجَلَّ، دخلت هذه في الأصل الثاني، وإن كان التقسيم المعتاد المعروف كما ذكرنا.

الأصل الثاني: الإيمان بنبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونبوة جميع الأنبياء، وذلك أن الله قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فقال: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، فالله تعالى اختص هؤلاء الأنبياء من بين البشر بخصائص، فجعلهم عَزَّوَجَلَّ مستأمنين على وحيه، وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه، هم وسائط في شيء واحد، هو تبليغ الشرع والدين، فهم بيننا وبين الله يبلغوننا ما الذي أمرنا الله به، وما الذي نهانا عنه، وماذا نعتقد، وماذا نترك، فهم واسطة بين الله وبين خلقه؛ لأنَّ الله تعالى ينزل عليهم وحيه.

ما ذكره في بقية كلامه عن الإيمان بالأنبياء واضح، الله أيدهم بالبراهين والآيات والدلالات التي تدل على صدقهم، هم قطعًا أفضل البشر على الإطلاق، فلا أحد يمكن أن يكون أفضل من نبي لا ولي ولا غيره، وهل الملائكة أفضل؟ أم الأنبياء؟ هنا قال: «وأنهم أكمل الخلق»، هو اختيار كثير من أهل العلم: أن الأنبياء أفضل من الملائكة، ومن أهل العلم من يقول: أن الملائكة أفضل، ومنهم من يرى: أن مثل هذه المسألة: الإعراض عنها أولى، قالوا: لأن الله تعالى لما ذكر الرسل بَيَّن تفاضل بعضهم، فقال: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، والملائكة أيضًا يتفاضلون فيما بينهم؛ لكن هل الملائكة أفضل من الرسل؟ أو الرسل أفضل من الملائكة؟

اختار بعض أهل العلم أن هذه المسألة مما يكف عنه؛ لأنها لم يرد فيها دليل يحسم كما في قوله

تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، قالوا: فلم لم يأت دليل واضح، فإنه لا يجاب فيها، وكثير من أهل العلم على أن الأنبياء أكمل الخلق على الإطلاق علما وعملا، وأنهم أصدق من نَطَق من الخلق، وأنهم أبرهم، وأكملهم أخلاقا وأعمالا.

خصّ الله الرسل بخصائص، وفضائل، لا يمكن أن تكون لأحد، هذه الخصائص لما كانوا قد استأمنهم الله على وحيه، فهم لهم خصائص معينة، لا يلحقهم في هذه الخصائص العظيمة أي أحد مهما كان، ومهما عمل من الطاعات والعبادات.

نزّههم الله تعالى وبرأهم من كل خلقٍ رذيل، الأخلاق الرذيلة والقبيحة، هم مبرؤون منزهون منها عليهم الصلاة والسلام، أما العصمة، فقال: معصومون فيما يبلغون، الشيء الذي يبلغونه عن الله لا يستقر في خبرهم وتبليغهم إلا الحق، فهم معصومون من جهة التبليغ.

وهنا سؤال: هل يقع من الرسل معصية؟!

الجواب: أما الكبائر، فالذي عليه أهل العلم أنهم لا يقعون في كبائر، أما المعصية من حيث الذنب الصغير، أو خلاف الأولى، أو نحو ذلك، فالنصوص دالة على أنهم قد يقعون منهم الشيء من هذا كما قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١]، ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴾ [ص: ٢٤]؛ لكن ما ذكر الله تعالى ذنب نبي إلا وأتبعه بتوبته عليه، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، وهكذا قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ [ص: ٢٤، ٢٥]، فيقع منهم ما لا يكون في الكبائر قطعًا.

ولأجل ذلك نعرف: أن العصمة في التبليغ، تبليغ ما أنزل الله من وحي هم معصومون فيه، أما أنهم لا يقع منهم أي شيء، حتى بعض الغلاة قال: لا ينسون، حتى النسيان ينزهون عنه، وهذا خطأ، فيقع منهم النسيان؛ لهذا نسى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسجد سجود السهو لما نسي في الصلاة، فالمبالغة الشديدة أتت من المعتزلة ونحوهم، قالوا: لا يجوز أن يصيبهم كذا ولا كذا ولا كذا، وبالغوا في المبالغات التي لا أصل لها.

❍ **قوله: «وَأَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِمْ وَبِكُلِّ مَا أُوتُوهُ مِنْ اللهِ تَعَالَى وَمَحَبَّتُهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ»**، يجب أن نؤمن بجميع ما أنزله الله عليهم؛ لأنه من الله، كلام الله عَزَّوَجَلَّ، أوحاه إليهم فهو حق، وهذه الأمور ثابتة لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أكمل الوجوه، فنحن ولله الحمد مستغنون بشرع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كل ما سواه، فأكمل وجوه العلم والعمل في وحي الله، الذي أنزله على نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❍ **قوله: «وَأَنَّهُ يَجِبُ مَعْرِفَةُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ الشَّرْعِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً»**؛ فهذا في الحقيقة للعلماء الذين يعرفون التفصيل، هؤلاء العلماء، أما العامة، فلا يمكن أن يعرفوا التفصيل؛ لأنه لو علم العامة التفاصيل لكانوا علماء، فالعامة يكفيهم الإيمان الإجمالي، ومعرفة ما يلزمهم شرعا إجمالا، وما خفي عليهم يسألون عنه أهل العلم، لا شك في أن ما يجب على العالم يختلف عما يجب على العامي.

فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ : « **وَأَنَّهُ يَجِبُ مَعْرِفَةُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ الشَّرْعِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا**» لا يمكن أن يعني به العامة، وإنما يقصد أن العلماء يجب أن يجتهدوا حتى يبينوا حكم الله في المسائل، ويعرفون ما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا علم نبوة، ويبلغوه الناس.

❍ **قوله: «وَالْإِيمَانُ بِذَلِكَ وَالْتِزَامُ طَاعَتِهِ»** قطعا يطاع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطلقا، يصدق في كل أخباره، يمتثل أمره، ويجتنب نهيه ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾ [النساء: ٦٤]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر: ٧]، فهذا أمر متحتم واجب، وأنت حين تقول: أشهد أن محمدا رسول الله، هذه الكلمة يترتب عليها أن تطيعه فيما أمر وتصدقه فيما أخبر، وتجتنب ما نهى عنه وزجر، وألا تعبد الله إلا بما شرع، لأنك تقول هو رسول الله.

وبالتالي كل قناعات عند الإنسان، أو كل أمر يسود في المجتمعات، ثم يأتي الدليل على خلافه، فإن هذه القناعات وكل ما يسود يضرب به عرض الحائط، ويقدم كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه ﴿تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾ [فصلت: ٤٢]﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ ﴾ [فصلت: ٤٢].

وتتضح مقامات الإيمان هنا، فعلي سبيل المثال: التعصب للأحساب والأنساب ونحو ذلك شديد، في الناس، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن مِن أمور الجاهلية أربع، منها: الفخر بالأحساب، وهذا كثير

جدًّا في الناس، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ**» يبقى هذا، هنا يتضح أمر الإيمان الحقيقي.

فإذا جاء النهي عن التفاخر، وترك عبية الجاهلية، والتزام أن أكرم الناس اتقاهم يتضح هذا، من كان راضخا مطيعا لله عَزَّوَجَلَّ يقدم هذا، ويضرب بهذه الأعراف عرض الحائط، وهكذا جملًا من المبايعات والمعاملات الربوية، يقول: فيها مصالح، فيها كذا، فإذا اتضح لك أنها ربوية يتضح الإيمان هنا.

فإن كان مقدم لإيمانه، قال له: تجلب لي من الأموال ما جلبت، ما دام أن فيها مخالفة لأحكام الشرع فأضرب بها عرض الحائط، ورزقي على الله.

والعكس بالعكس تجد ضعيف الإيمان يأبى ويتمنع، فهذه الأمور كلها تابعة لكونك شهدت أن محمدا صلى الله رسول الله.

❍ **قوله: «وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»؛** فليس لأحد أن يتعبد بشريعة نبي كائن من كان، بعد شريعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ الأنبياء في السابق، كل نبي يبعث إلى قومة خاصة، أما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو النبي الخاتم، بعثه الله تعالى لجميع الإنس والجن، فليس لأحد أن يستمسك بشرع قبله؛ لأن شريعته نسخت جميع الشرائع، شريعته ولله المنة والفضل باقية إلى قيام الساعة، فلا نبي بعده ولا شريعة غير شريعته، لا في أصول الدين، **أي:** الاعتقاد، ولا في فروعه، **أي:** من الأحكام.

❍ **قوله: « وَيَدْخُلَ فِي الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ الْإِيمَانَ بِالْكُتُبِ»،** الذي يظهر أن سبب إدخاله لها: أن الكتب أنزلت على الرسل، وإلا كما قلنا: الأصل أن الإيمان بالكتب أصل مستقل.

فالإيمان بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقتضي إيمانا بكل ما جاء به، من الكتاب والقرآن، وأيضًا من السنة؛ لأن السنة نزلت عليه وحيا، ألفاظها ومعانيها، فلا يتم الإيمان به إلا بذلك.

ومن كان أعظم علما بذلك وتصديقا واعترافا وعملا، كان أكمل إيمانا، وتكلمنا عن أمر إدخاله الملائكة والقدر في هذا الأصل.

ثم قال: إذا استقر هذا عندك، وأن محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه الله تعالى هذا وحيا من عنده، علمت أن ما جاء به حق لا يمكن أن يقوم برهان يناقضه؛ لأن الحق لا يناقض الحق، فلا يمكن أن يقوم دليل عقلي صحيح، أو حسي، أو مثل ما في هذه الأزمنة دليل علمي من العلم الحديث يستحيل أن يقوم

دليل علمي أو أن يقوم أمر حسي، أو أن يقوم دليلا من أدلة العلم الحديث على خلاف ما جاء به عليه الصلاة والسلام.

وقطعا لا يمكن أن يقوم دليل نقلي؛ لأن النقلي يأتي من النقل، فالأمور العقلية أو الحسية النافعة تجد دلالة الكتاب والسنة مثبتة لها، بل وتحث على تعلمها.

أما غير النافع من المذكورات فليس فيها ما ينفي وجودها، فالأشياء إما أن تكون نافعة، وإما أن تكون ضارة وإما أن تكون لا نفع ولا ضرر، فالنفع في كتاب الله، والدين الحق فيما في كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما يتعلق بالأمور النافعة من أمور الدنيا، فإن الشرع يحث الأمة عليه، وألا تكون فيه عالة على غيرها من الأمم، أما الأمور الضارة، فهذه يذمها الشرع، وينهى عنها، وينهى عن تعلمها ونشرها.

۞ قال المصنف: «اَلْأَصْلُ اَلثَّالِثُ: اَلْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ اَلْآخِرِ، فَكُلَّ مَا جَاءَ بِهِ اَلْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِمَّا يُكَوِّنُ بَعْدَ اَلْمَوْتِ، فَإِنَّهُ مِنْ اَلْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ اَلْآخِرِ، كَأَحْوَالِ اَلْبَرْزَخِ وَأَحْوَالِ يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ اَلْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالشَّفَاعَةِ وَالْمِيزَانِ، وَالصُّحُفِ اَلْمَأْخُوذَةِ بِالْيَمِينِ وَالشَّمَالِ، وَالصِّرَاطِ وَأَحْوَالِ اَلْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَحْوَالِ أَهْلِهَا، وَأَنْوَاعَ مَا أَعَدَّ اَللهُ فِيهَا لِأَهْلِهَا إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً، فَكُلُّ ذَلِكَ دَاخِلَ فِي اَلْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ اَلْآخِرِ».

هذا هو الأصل الثالث، وهو الإيمان باليوم الآخر، يدخل في الإيمان باليوم الآخر كل ما يكون بعد الموت، مَن قُبِضَة روحه، في أثناء قبض الروح يعلم الإنسان هل هو من أهل الجنة أو من أهل النار؟

لأنه إما أن تقبضه ملائكة الرحمة إن كان من أهل الجنة، أو أن تقبضه والعياذ بالله ملائكة العذاب، فيبدأ في الدخول في أمر اليوم الآخر، وإن كان جسده في الدنيا، وتُقْبَض روحه، ويدخل في عالم البرزخ، فكل ما جاء في الكتاب والسنة، مما يكون بعد الموت، فإنه من الإيمان باليوم الآخر؛ ولهذا من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما يكون في القبر.

والبرزخ: هو الشيء الذي بين شيئين كأنه الحاجز، فالبرزخ هو القبر بين الدنيا وبين الآخرة؛ لكن القبر أحكامه أحكام الآخرة، كما في الحديث: «**القَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلَةٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ**»، وهكذا أحوال القيامة من البعث، والحساب والثواب والعقاب، وما يتعلق بالشفاعة، ونصب الميزان، والصحف التي تؤخذ

باليمين أو بالشمال، ونصب الصراط على متن جهنم، وهكذا أيضًا أحوال أهل الجنة، وأحوال أهل النار، وأحوال الجنة نفسها، وأحوال النار نفسها، وما أعد الله لأهل الجنة، وما أعد الله لأهل النار كل هذا داخل في الإيمان باليوم الآخر، يؤمن به الواحد منا ويعلم أن اليوم الآخر هو اليوم الذي سَتَرِدُه الخلائق كلها: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، يجمع الله الخلائق كلها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] تحشر الخلائق هذه من دواب، وطيور، وجن، وإنس، كلهم يحشرون لربهم يوم القيامة.

فما بعد الموت إلى أن يستقر الناس في الجنة أو في النار كله مما يؤمن به المؤمنون، وهو داخل في الإيمان باليوم الآخر.

۞ قال المصنف: «اَلْأَصْلُ اَلرَّابِعُ: مَسْأَلَةُ اَلْإِيمَانِ فَأَهْلُ اَلسَّنَةِ يَعْتَقِدُونَ مَا جَاءَ بِهِ اَلْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ أَنَّ: اَلْإِيمَانَ هُوَ تَصْدِيقُ اَلْقَلْبِ اَلْمُتَضَمِّنِ لِأَعْمَالِ اَلْجَوَارِحِ، فَيَقُولُونَ: اَلْإِيمَانُ اِعْتِقَادَاتُ اَلْقُلُوبِ وَأَعْمَالِهَا، وَأَعْمَالِ اَلْجَوَارِحِ، وَأَقْوَالِ اَللِّسَانِ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا مِنْ اَلْإِيمَانِ . وَأَنَّ مِنْ أَكْمَلَهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَقَدْ أَكْمَلَ اَلْإِيمَانَ، وَمِنْ اِنْتَقَصَ شَيْئًا مِنْهَا فَقَدْ اِنْتَقَصَ مِنْ إِيمَانِهِ. وَهَذِهِ اَلْأُمُورُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ اَلْأَذَى عَنْ اَلطَّرِيقِ، وَاَلْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ اَلْإِيمَانِ. وَيُرَتِّبُونَ عَلَى هَذَا اَلْأَصْلِ: أَنَّ اَلنَّاسَ فِي اَلْإِيمَانِ دَرَجَاتٍ مُقَرَّبُونَ وَأَصْحَابُ يَمِينٍ وَظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِحَسَبِ مَقَامَاتِهِمْ مِنْ اَلدِّينِ وَالْإِيمَانِ. وَأَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ فَمَنْ فَعَلَ مُحَرَّمًا، أَوْ تَرْكِ وَاجِبًا، نَقَصَ إِيمَانُهُ اَلْوَاجِبُ، مَا لَمْ يَتُبْ إِلَى اَللَّهِ تَعَالَى. وَيُرَتِّبُونَ عَلَى هَذَا اَلْأَصْلِ: أَنَّ اَلنَّاسَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ، مِنْهُمْ: مَنْ قَامَ بِحُقُوقِ اَلْإِيمَانِ كُلِّهَا فَهُوَ اَلْمُؤَمَّنُ حَقًّا، وَمِنْهُمْ: مِنْ تَرَكَهَا كُلَّهَا فَهَذَا كَافِرٌ بِاَللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْهُمْ: مِنْ فِيهِ إِيمَانٌ وَكَفَرٌ، أَوْ: إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ أَوْ خَيْرٌ وَشَرٌّ، فَفِيهِ مِنْ وِلَايَةِ اَللَّهِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ لِكَرَامَتِهِ بِحَسَبِ مَا مَعَهُ مِنْ اَلْإِيمَانِ، وَفِيهِ مِنْ عَدَاوَةِ اَللَّهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ لِعُقُوبَةِ اَللَّهِ بِحَسَبِ مَا ضَيَّعَهُ مِنْ اَلْإِيمَانِ. وَيُرَتِّبُونَ عَلَى هَذَا اَلْأَصْلِ اَلْعَظِيمِ: أَنَّ كَبَائِرَ اَلذُّنُوبِ وَصَغَائِرَهَا اَلَّتِي لَا تَصِلُ بِصَاحِبِهَا إِلَى اَلْكُفْرِ تُنْقِصُ إِيمَانَ اَلْعَبْدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ دَائِرَةِ اَلْإِسْلَامِ وَلَا يَخْلُدُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَلَا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ اَلْكُفْرَ كَمَا تَقُولُ اَلْخَوَارِجُ أَوْ يَنْفُونَ عَنْهُ اَلْإِيمَانَ كَمَا تَقُولُهُ اَلْمُعْتَزِلَةُ، بَلْ يَقُولُونَ هُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَمَعَهُ مُطْلَقُ اَلْإِيمَانِ، وَأَمَّا اَلْإِيمَانُ اَلْمُطْلَقُ فَيُنْفَى عَنْهُ. وَبِهَذِهِ اَلْأُصُولِ يَحْصُلُ اَلْإِيمَانُ بِجَمِيعِ نُصُوصِ اَلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ».

ذكر -رحمه الله تعالى- الأصل الرابع، وهو موضوع الإيمان، عَرَّفه بأنه تصديق القلب، وأعمال الجوارح، وأعمال القلوب أيضًا، واعتقاداتها، وأقوال اللسان، فالإيمان عند أهل السنة قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وعمل القلوب، فليس المقصود عمل الجوارح فقط، بل عمل القلوب أيضًا؛ لأن القلب يعمل خشوعًا ومحبة خوفًا ورجاءً، هذه تسمى أعمال قلوب.

فالإيمان عند أهل السنة: قول واعتقاد وعمل، وعلى هذا أجمع الصحابة والتابعون ومن بعدهم، قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكان الإجماع من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتابعين وأتباعهم ومن لقينا: أن الإمام قول وعمل ونية، لا يجزي واحدٌ منها عن الآخر»، فلا بُدّ من هذه الثلاثة مجتمعة، وإذا فقد منها واحد زال الإمام.

فإذا فُقِد صدق القلب زال الإيمان، إذا لم ينطق بلسانه مع قدرته وأبى، قال: أنا مؤمن؛ لكن لن أتشهد الشهادتين وهو كان كافرا، قيل له: لا يثبت لك الإيمان، وإذا ترك العمل بالكلية، لا يعمل نهائيا، قال: أنا أنطق بلساني، وأعول على ما في قلبي من الإيمان؛ لكن لا أعمل، إذا ترك العمل كلية، فإنه أيضًا لا يكون من المؤمنين؛ لأن الإيمان قول واعتقاد وعمل.

من أكمل هذه الأعمال، وهذه الاعتقادات، والأقوال ظاهرا وباطنا، أكمل الإيمان، ومن انتقص منها، انتقص إيمانه، وعلى هذا فالإيمان يزيد وينقص، ما دام أن فيه كمال فهو يزيد حتى يصله، وما دام فيه نقص فإنه ينقص حتى لا يبقى إلا الشيء اليسير منه، بحيث لو فقد لهلك الإنسان وكان كافرًا.

ولهذا فالإيمان بضع وسبعون، وفي الرواية الأخرى: بضع وستون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان، وهذا الحديث دليل على ما يقوله أهل السنة من أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، فقوله: أعلاها قول: لا إله إلا الله، هذا نطق باللسان، وأدناها إماطة الأذى، هذا عمل من أعمال الجوارح، والحياء شعبة من الإيمان، الحياء عمل قلبي.

وبالتالي فالناس على ثلاث درجات في الإيمان:

الدرجة الأولى: هم أهل الكمال، نسأل الله الكريم من فضله وهم المقربون، وهؤلاء نسأل الله الكريم من فضله، هم من يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

الدرجة الثانية: أصحاب اليمين.

الدرجة الثالث: الظالمون، وهم الذين وردوا في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢]، فالسابقون بالخيرات، هم: المقربون، المقربون؛ لأنهم أتوا بالواجبات، وتركوا المحرمات، وأتوا بالنوافل، أصحاب اليمين أتوا بالواجبات، وتركوا المحرمات فقط، واقتصروا على هذا، الظالمون لأنفسهم هما أهل المعاصي والتخليط الذين وقع عندهم ما وقع من الخلل، فهم ظالمون لأنفسهم، وكلهم يدخلون في اسم الإيمان.

❍ **قوله:** «**وَأَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ فَمِنْ فِعْلِ مُحَرَّمًا أَوْ تَرْكِ وَاجِبًا نَقْصَ**» كما في الحديث: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»، إذا وقع -والعياذ بالله- منه كبيرة الزنا هذه، فهو في أثناء زناه، كما في الحديث الآخر يرتفع والعياذ بالله زناه، فيكون على رأسه كالظلة؛ لأنه لا يجتمع الإيمان نظيف، والزنا دنس وقذر، ففي أثناء زناه لا يجتمع الإيمان معه، يكون على رأسه كالظلة، فإذا أقلع عن هذه القذارة وهذه الفاحشة عاد إليه إيمانه؛ لأن الإيمان نظيف، فإذا وقع في فاحشة الزنا يرتفع الإيمان؛ لكن لا يزول بالكلية عنه؛ لكن أثناء زناه عياذ بالله، يكون الإيمان على رأسه كالظلة، فإذا أقلع عن هذه الفاحشة عاد إليه إيمانه؛ لأن أصل إيمانه عنده.

وهذا يدل على أن الكبائر مؤثرة جدًّا في الإيمان، الكبائر تؤثر تأثيرا كبيرا في الإيمان، وقد تتسبب في الكفر.

لهذا قال أهل العلم: إن هذه المعاصي بريد الكفر، قد توصل الإنسان إلى الكفر -عياذًا بالله-؛ لكن من وقع في معصية لا يكفر، من هذه المعاصي حتى لو كانت من الكبائر؛ لكن ينقص إيمانه نقصا عظيما بسببها.

❍ **قوله:** «**وَيُرَتِّبُونَ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ أَنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ مِنْهُمْ مَنْ قَامَ بِحُقُوقِ الْإِيمَانِ كُلِّهَا فَهُوَ الْمُؤَمَّنُ حَقًّا**»، وإذا قال: المؤمن حقا، فمعناه: أنه الذي قد أكمل الإيمان، وأولئك هم المقربون، نسأل الله الكريم فضله.

القسم الثاني: من ترك هذه الواجبات الإيمانية كلها، فهذا كافر، لا اعتقاد، لا قول، لا عمل ..هذا كافرا.

❍ **قوله:** «وَمِنْهُمْ مِنْ فِيهِ إِيمَانٌ وَكَفَرَ أَوْ إِيمَانٍ وَنِفَاقٍ أَوْ خَيْرٍ وَشَرٍّ»، ماذا يريد بالكفر هنا؟ يريد: الكفر الأصغر قطعا؛ لأنه إذا وجد الكفر الأكبر زال الإيمان بالكلية، وهكذا النفاق يريد النفاق الأصغر، أما الإيمان، إذا كان هناك كفر أكبر زال الإيمان، وارتد الإنسان -عياذًا بالله-؛ لكن يكون عند الإنسان خير وشر، كما في آخر كلامه، فإيمانه خير، وكفره الأصغر شر، إيمانه خير ونفاقه الأصغر شر.

المقربون هؤلاء يوالون موالاة مطلقة؛ لأنهم قد أطاعوا الله وتركوا معصيته، فلهم الولاية المطلقة، يواليهم المؤمن موالاة مطلقة، وهم أحب صنف عند أهل الإسلام، الذين قاموا بما أوجب الله وتركوا ما حرم الله، وهذا أمر فطري في كل مسلم، حتى لو كان عاصيا، أن صاحب الطاعة محبوب، وتجد العاصي يقول: أسأل الله أن يعينني على أن أكون مثل هذا، وأنا أعلم أن طريقه هو الصواب وأنا مخطئ وعسى الله أن يعينني على نفسي.

فالمسلم من طبعه أن يحب من هو أكمل إيمانا منه؛ ولهذا من الخطر الكبير، ومن دلائل أن في القلب إشكالا كبيرا: أن يُكْرَهَ أَهْلُ الإيمانِ الحَقِّ مِنْ قِبل المسلم؛ لأن كراهيتهم نذير شر، بأن القلب فيه مرض خطير للغاية، أنت تعلم: أن من هو أجل منك في الإيمان أنه محبوب عندك تلقائيًّا، فوجود الكراهية لأهل الخير، ولأهل الصلاح خطير جدًّا على الإنسان.

ولهذا: يقول صالح لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩] هذا خطير جدًّا على الإنسان؛ ولهذا الذي ينصحك ينبغي أن يكون محبوبا عندك؛ لأنه أتى وتجشم ووجهك حرصا عليك ..فكيف تكرهه؟ بغض الناصح خطير جدًّا عن الإنسان، اللهم إلا إذا أتى وفضحك وتكلم، فأنت لم تبغضه لنصحه؛ لكن أبغضت أسلوبه؛ لكن رجل يمسكك، يقول لك: عندك خطأ في الصلاة، انتبه لنفسك، هذا يفسد عليك صلاتك، كيف تكره هذا؟! هناك مئات رأوك وسكتوا، هذا الرجل نصحك، فينبغي أن تحبه، وتدعو له، فكراهة المؤمن الذي يظهر منه، نحن لا نعلم حقائق الناس؛ لكن الذي يظهر، فلو أن إنسانا يظهر منه الخير، ومجانب للشر والفساد، من طبيعة المسلم حتى لو كان من أكثر الناس عصيانا: أن يحب هذا الشخص؛ لأنه كما في الحديث لما ذكر عليه الصلاة والسلام أولياء الله قال: «**الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ**». بمجرد أن تراه تذكر الله تعالى، حتى لو كان الإنسان عنده شيءٌ من المعاصي ونحوه استحى وأخفاه؛ لأن هؤلاء أولياء لله عَزَّوَجَلَّ، مطيعون

لله فيحبهم لله، هذا هو الوضع السوي. فهؤلاء يُحَبُّون مطلقا، فلهم المحبة وليس معها بغضاء.

الصنف الثاني: الكافر بالله، هذا له البغضاء كلها، وليس له المحبة.

الصنف الثالث: وهو من فيه إيمان وفيه كفر أصغر، من فيه خير ومن فيه شر، هذا يجتمع فيه الحب والبغض، فيُحَبُّ من وجه ويُبْغَضُ من وجه.

❍ **قوله:** «فَفِيهِ مِنْ وِلَايَةِ اَللهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ لِكَرَامَتِهِ بِحَسَبَ مَا مَعَهُ مِنْ اَلْإِيمَانِ»؛ لأنه مسلم، حتى لو كان مثلا شارب خمر أو -والعياذ بالله- كان سارقا أو غيره، هو وإن أبغضت هذه الخصلة فيه، وأبغض لأجلها؛ لكن هو مسلم، وليس كغيره، ليس مثل الصنف الثاني وهم الكفار الذين يُبْغَضُون مطلقا، فيجتمع في الصنف الثالث -وهو المسلم العاصي- حبه من وجه وبغضه من وجه، فتحبه؛ لأنه أخوك المسلم؛ ولهذا إذا مات ماذا تفعل به؟ تذهب لتصلي عليه، وصلاتك عليه ماذا تقول فيها؟ تقول: اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وتسأل الله أن لا يعذبه؛ لأنه أخوك، وإن كان شارب خمر؟ وإن كان شارب خمر. وقد كنت في الدنيا تنكر عليه؟ نعم.. كنت أنكر عليه شفقة عليه، عسى الله أن يهديها، الآن ذهب إلى ربه، أسأل الله أن يعفو عنه، لماذا؟ لأنه مسلم، فأنت لم تبغضه للونه ولا للسانه ولا لشكله ولا لقبيلته، وإنما أبغضته لأنه عصى الله.

وفي الوقت نفسه لما مات واحتاج إلى الدعاء، بادرت وصليت عليه؛ لأنه فيه ما يستدعي ولاية الله ومحبته، وفيه ما يستدعي أن يعاد لمعصيته.

فيجتمع في العاصي من المسلمين الجانبان، فيه: من ولاية الله واستحقاقه لكرامته بحسب ما معه من الإيمان، وفيه من عداوة الله واستحقاقه لعقوبة الله بحسب ما ضيعه من الإيمان.

يرتب أهل السنة على هذا أن كبائر الذنوب وصغائرها، التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر، وإن أنقصت إيمان المؤمن إلا أنها لا تخرجه من دائرة الإسلام، فلو أن إنسانا والعياذ بالله ظل يشرب الخمر حتى مات وهو يشربها، بل حتى لو مات وهي في بطنه، كأن يشرب الخمر مثلا ويموت -عياذًا بالله- سكرانًا، هذا لا يخرج من الإسلام، هل يمكن أن يغفر الله له؟ ومن يمنع الله؟ من يمنع الله أن يغفر لمن شاء سبحانه؟

لأجل ذلك نقول: إنه تحت المشيئة، إن شاء غفر له وهذا إليه تعالى، وإن شاء عذبه لماذا؟

لأن معه الإسلام، فإذا مات صاحب الكبيرة من المسلمين، فإنه لا يخرج من الإسلام؛ ولهذا يصلى عليه، وإن عذبه الله تعالى في النار، فإنه لا يخلد فيها، النار لا يخلد فيها إلا أهل الكفر، الصنف الثاني الذين يبقون فيها أبد الآبد، فإن العاصي من المسلمين، إذا دخل النار لا يخلد خلود الكفار، يبقى فيها مدةً، الله تعالى يعلمها، ثم يخرج منها.

لهذا: أهل السنة لا يطلقون على العاصي: أنه كافر هكذا؛ لأن هذا الإطلاق هو إطلاق الخوارج؛ لكن يقال: هو عاص، هو فاسق، قد تسقط شهادته، قد يجلد إذا شرب الخمر، أو فعل ما يستوجب حدا، هذا فسق، لكنه فاسق بما معه من معصية، مؤمن بما معه من إيمان، ولا ينفون عنه الإيمان، كما تقول المعتزلة، المعتزلة قالوا: لا نقول: إنه مؤمن، ولا نقول: إنه كافر، وزعموا أنه فيما سموه منزلة بين المنزلتين، فيقال: كل هذا باطل، بل هو مؤمن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويؤمن بالقدر، يصلي يصوم؛ لكن عنده شرب خمر، فعنده ولا شك إيمان؛ لكن عنده هذه المعصية.

فهل هذا المثال الذي ذكرنا، نقول في حقه: أنه مؤمن؟

الجواب: نقول مؤمنٌ بما معه من إيمان، فاسق بما عنده من كبيرة، فيجتمع فيه وصف الإيمان والفسق، والفسق، المراد به هنا الفسق الأصغر؛ لأن الفسق قد يطلق على الفسق الأكبر، كفسق إبليس، قال تعالى عن إبليس: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] قطعًا فسقه هنا فسق أكبر، وليس مثل الفسق الوارد في قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات: ٦] لأن هذا فسق أصغر.

إذا قيل أصغر، الكفر، الشرك، النفاق، الفسق، المعصية، الذنب، إذا قيل: أصغر، فمعنى ذلك: أن الشخص مسلم هذا المعنى.

إذا قيل: أكبر، كفر أكبر، شرك أكبر، نفاق أكبر، فسق أكبر، معناه: أنه كافر، فالمسلم معه فسق أصغر، ومعه في نفس الوقت إسلام.

هنا خلص إلى مسألة ينبغي أن يضبطها طالب العلم، يقول: هذا العاصي من المسلمين معه مطلق الإيمان، وليس معه الإيمان المطلق.

ما الفرق بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق؟

الجواب: الإيمان المطلق، معناه: الإيمان الكامل، وهذا الصنف الأول، أما مطلق الإيمان، فهذا

عنده إيمان، عنده إسلام، وإن كان إيمانه ضعيفا، نفس الشيء بالنسبة للأمن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، الأمن المطلق هو للذي يدخل الجنة، ومطلق الأمن هو للعاصي الذي قد يدخل النار من أهل الكبائر، فعنده مطلق أمن بألا يخلد في النار ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] أيضًا الهداية، هناك الهداية المطلقة، وهذه لأهل الإيمان الكامل، وهناك مطلق الهداية وهذه للمسلم الذي يكون عنده معصية، يعرف الفرق بين مطلق الأمن والأمن المطلق، ومطلق الإيمان والإيمان المطلق.

لأجل ذلك الفاسق ينفى عنه الإيمان المطلق؛ لأن هذا الإيمان الكامل، ويثبت له مطلق الإيمان.

۞ قال المصنف: «وَيَتَرَتَّبَ عَلَى هَذَا ٱلْأَصْلِ: أَنَّ ٱلْإِسْلَامَ يَجُبُ مَا قِبَلَهُ، وَأَنَّ ٱلتَّوْبَةَ تَجُبُ مَا قَبْلَهَا، وَأَنَّ مِنْ ٱرْتَدَّ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَمِنْ تَابَ تَابَ ٱللهُ عَلَيْهِ. وَيُرَتِّبُونَ أيضًا عَلَى هَذَا ٱلْأَصْلِ صِحَّةَ ٱلِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ، فَيَصِحُّ أَنْ يَقُولَ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ ٱللهُ؛ لِأَنَّهُ يَرْجُو مِنْ ٱللهِ تَعَالَى تَكْمِيلَ إِيمَانِهِ، فَيَسْتَثْنِي لِذَلِكَ، وَيَرْجُو ٱلثَّبَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى ٱلْمَمَاتِ فَيَسْتَثْنِي مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ بِحُصُولِ أَصْلِ ٱلْإِيمَانِ. وَيُرَتِّبُونَ أيضًا عَلَى هَذَا ٱلْأَصْلِ أَنَّ ٱلْحُبَّ وَالْبُغْضَ أَصْلُهُ وَمِقْدَارُهُ تَابِعٌ لِلْإِيمَانِ وُجُودًا وَعَدَمًا وَتَكْمِيلاً وَنَقْصًا، ثُمَّ يَتْبَعُ ذَلِكَ ٱلْوِلَايَةُ وَالْعَدَاوَةُ؛ ولهذا مِنْ ٱلْإِيمَانِ ٱلْحُبُّ فِي ٱللهِ وَالْبُغْضِ للهِ، وَالْوِلَايَةِ للهِ وَالْعَدَاوَةِ للهِ».

ذكر: أنه يترتب على هذا الأصل: أن الإسلام يجب ما قبله، **أي:** إذا أسلم الكافر، فذنوبه كلها مغفورة، وهكذا المسلم التائب إذا تاب فذنوب تُغفر بالتوبة، إلا إن كان الذنب متعلقا بحق آدمي فإنه يوصل الآدمي حقه، من ارتد ومات على الردة فقد حبط عمله، كل أعماله من صدقات من صلوات من حج، كل هذا والعياذ بالله يكون هباء منثورا، فإن تاب تاب الله، وهذا من فضل الله مع أنه وقع في أعظم الذنوب.

لكن لو أن إنسانا -نسأل الله العافية والسلامة- ارتدّ بعد أن حج، **أي:** هو حج، ثم وقع في الزيغ فكفر، ثم ندم على ما وقع منه فعاد الإسلام، هل يقال: قد حبطت أعماله بالردة، فيستأنف من جديد، من أهل العلم من قال كذلك، قال: لأن هذا مثل ما لو إن إنسانا أحدث بعد أن توضأ فأفسد حدثه وضوءه، ومن أهل العلم من قال: لا ..إنه إذا رجع قبل أن يموت، فأعماله باقية له.

۞ **متى تكون أعماله هباء منثورا؟!**

❍ **الجواب**: إذا مات على كفره، واستدلوا بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، قالوا: إن الله تعالى في حبوط الأعمال، ذكر أنه مربوط بالموت على الكفر، فقال: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٧] لما يقل: فأولئك حبطت أعمالهم مباشرة، قال: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، قالوا: فهذا دليل على أنه إذا رجع، فمن فضل الله ومنته: أن أعماله تبقى، إنما تكون أعماله حابطة عياذ بالله، لو أنه مات على ردته.

❍ **قوله: «وَيُرَتِّبُونَ أيضًا عَلَى هَذَا اَلْأَصْلِ صِحَّةَ اَلِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ»**، الاستثناء في الإيمان: أن يقول الإنسان: أنا مؤمن إن شاء الله، وإذا قيل له: أنت مؤمن؟ قال: أرجو ولا يَقْطَع، وذلك أن العبد يرجو من الله أن يُكَمِلَ له إيمانه، ويرجو أن يثبته الله عليه، وأيضًا لا يدري بما يُختم له، هل يختم له بالإيمان أو لا يختم له بذلك؟

وأيضًا هو لا يزكي نفسه؛ لأن كلمة: أنا مؤمن هكذا إطلاق، معناها: أنك قد كملت الإيمان، وأنت من أهل الإيمان المطلق، وهذا تزكية عظيمة للنفس، والله نهى عن ذلك، فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

وأيضًا: يستثني لأنه لا يدري هل قبل عمله أو لا، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سألته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قالت: يا رسول الله، هو الرجل يشرب الخمر، ويسرق، ويزني؟ قال: «**لَا يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيُصَلِّي، وَيَخْشَى أَنْ لَا يَتَقَبَّلَ مِنْهُ**»؛ لأن الأمر متوقف على القبول، فلهذا فيقول: مؤمن إن شاء الله، ولا يجزم الجزم، لكنه لا يستثني شاكًّا في أصل إيمانه، فأصل الإيمان، كل أحد يعرف هل هو مسلم أو غير مسلم؟ فهو لا يستثني يقول: إن شاء الله في أصل إيمانه، ولكن على ما ذكرنا من عدم التزكية من أنه لا يعلم الخاتمة ونحو ذلك.

ثم ذكر ما قلناه قبل قليل في موضوع ترتيب الحب والبغض، وأنه تابع للإيمان وجودًا وعدما.

❁ **قال المصنف: «وَيَتَرَتَّبُ عَلَى اَلْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ الإيمَانُ إِلَّا بِهِ، وَيَتَرَتَّبَ**

عَلَى ذَلِكَ أيضًا مَحَبَّةَ اِجْتِمَاعِ اَلْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَثُّ عَلَى اَلتَّآلُفِ، وَالتَّحَابُبِ، وَعَدَمِ اَلتَّقَاطُعِ».

ذكر ما يتعلق بالحب لأخيك ما تحبه لنفسك، وهذا أمر عظيم جدًّا ينبغي أن يلاحظه الإنسان، وأن يقاوم نفسه فيه أبلغ المقاومة، هذا يحتاج إلى عسف للنفس، من رحمة الله: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»، تحب لأخيك ما تحب لنفسك من التوفيق، وفقك في طاعة، في صلاة في هداية، في صلاح أولاد، في تجارة، في دراسة، يجب أن تحب لأخيك مثل ما تحب لنفسك، في صلاح أولاده، في أن تربح تجارته، في أن ينجح ويوفق في دراسته، يلزم شرعًا هذا.

فإن لم يوجد فهذا من ضعف إيمانك، لقوله: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»، والعاقل إذا تأمل هذا الحديث، علم أنه عدل وحق، أنت الآن ماذا يضرك إذا ربحت تجارتك، أن يربح أخوك، النفوس كما قال تعالى: ﴿**وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ**﴾ [النساء: ١٢٨] دائما النفس تحب أن تبرز وتتميز، فتربح تجارتي وتخسر تجارتك، وأنجح في الدراسة وتخفق أو لا تصل إلى الدرجة التي وصلتها، هذا في النفوس، لا يستطيع أحد أن ينفيه من نفسه، فتعسف النفس عسفا، على أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك لن يضرك في ذلك شيء، أصلح الله ذريتك، تحب أن يصلح الله ذريته، ربحت تجارتك، تقول: عسى الله إن يرزق أخي مثل ما رزقني، وفقت في دراسة، في نشاط تجاري، في غير ذلك، تقول: أسأل الله أن يرزق المسلمين جميعًا.

وهذه مسألة عظيمة من الإيمان، أن تحب لأهل الإيمان ما تحب لنفسك، ولا يتم الإيمان إلا بهذا، بحيث لو أحببت لنفسك أمرا تنفرد به عن غيرك، تكون آثمًا هذا المعنى، في نفس الوقت تبغض لأخيك من الشر ما تبغضه لنفسك، فإذا كنت تبغض أن تخسر تجارتك، فأنت تبغض أن تخسر تجارة أخيك، فتحب لأخيك ما تحب لنفسك، وتبغض له ما تبغض لنفسك؛ لأنه مسلم وبينكم هذه الأخوة.

الكلام -**يا إخوة**- في هذا سهل؛ لكن الكلام على تحقيقه، النفوس فيها شح ﴿**وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ**﴾ [النساء: ١٢٨]، والأمر لا شك أنهم كما قال عليه السلام هذا.

جاء عن المسور بن مخرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أنه أتى ببضاعة وجلبها للسوق، ثم رأى سحابًا فكره أن ينزل المطر لماذا؟ إذا نزل المطر عادة وعند الإنسان بضاعة مما يؤكل، العادة أنها سترخص في السوق، فكره المطر، ففاجأ الناس بأنه جلب البضاعة، وقال: هي للمسلمين، قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما بال

المسور؟

أي: ما في أحد تاجر يأتي بتجارة، ثم يقول للناس في السوق: خذوها، فأخبروه أنه لما رأى المطر وقع في نفسه تجارته لن تباع بالسعر الذي ستباع به، لو لم يكن المطر فدعا له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخير، لماذا؟ قال: لأني أحببت لنفسي شيئا وكرهت للمسلمين الربح.

فهذه التجارة التي أوقعت هذا في نفسه الآن مجانا للمسلمين، ولا شك أن هذا خطأ؛ ولهذا من محبة خير المسلمين حتى لو كنت تاجرا أن ترخص أسعارهم، تحب هذا، وإن كنت تاجرا؛ لأن الله يرزقك حتى وقت الرخص، ولا تحب أن ترتفع الأسعار حتى تتضاعف القيم ويتضرر الناس، ارتفاع الأسعار ليست في مصلحة عموم المسلمين، مثل ارتفاع أسعار مثلا على سبيل المثال الأراضي، وتأجير المساكن، هذه ليست إلا في مصلحة أناس محدودون جدًّا، وأكثر الناس يتضرر بهذا.

ولهذا: المؤمن الصادق، حتى لو كان عنده أشياء يؤجرها، يقول: عسى الله أن ييسر للمسلمين هذه السلع، وأنا رزقي يبارك الله تعالى لي فيه بحسب الموجود في السوق، لأجل ذلك هذا المقام مقام عظيم جدا، أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، ممكنا تخطب بخطبة جمعة كاملة هذا؛ لكن تطبيقه، في كل حال، تتمنى أن يكون لأخيك مثل ما لك، الشر الذي تتمنى أن يندفع عنك، تتمنى أن يندفع عن أخيك، لا شك في أن هذا من أعظم دلائل قوة الإيمان.

وبقدر ما ينقص هذا من العبد بقدر ما ينقص من إيمانه، لأجل ذلك قال -رحمه الله تعالى-: « **وَيَتَرَتَّبُ عَلَى اَلْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ الإيمَانُ إِلَّا بِهِ**»، قل: انتبه، سيضعف إيمانك إن لم يكن هذا عندك.

○ **قوله:** «**وَيَتَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ أيضًا مَحَبَّةَ اِجْتِمَاعِ اَلْمُؤْمِنِينَ وَالْحَثُّ عَلَى اَلتَّآلُفِ وَالتَّحَابُبْ وَعَدَمِ اَلتَّقَاطُعِ**»، يفرح أن المسلمين يجتمعون، ويصلح الله تعالى شأنهم، ويؤلف بين قلوبهم، وأن يجمعهم على الهدى، وأن يزيل عنهم النزاع والشقاق.

ويحب أيضًا، ويسعى في التآلف والتحابب وعدم التقاطع، كل هذا مرتبط، لماذا؟ لأنه يربطه بهم رابطة الإسلام والإيمان.

۞ **قال المصنف:** «**وَيَبْرَأُ أَهْلُ اَلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ اَلتَّعَصُّبَاتِ وَالتَّفَرُّقِ وَالتَّبَاغُضِ**».

لأنها تحزب على ما فيه تفريق للأمة، فيبرؤون منها، هذا يتعصب ويجمع حوله أناس، وذاك يجمع آخرين، مما يؤدي إلى التفرق، وإذا حصل هذا حصل التباغض تلقائيا، فيحصل التباغض، فيبرأ أهل السنة من هذا، والأمة أمة واحدة.

ولم يجعل الله تعالى عدة أمم، هذا له حزب، هذا له جماعة، هذا له أناس حوله، الجميع يتعاونون على البر والتقوى، كلهم دون أن تقطع الأمة إلى أحزاب أو جماعات.

۞ قال المصنف: «وَيَرَوْنَ أَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ مِنْ أَهَمِّ قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَرَوْنَ الِاخْتِلَافُ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي لَا تَصِلُ إِلَى كَفْرٍ أَوْ بِدْعَةٍ مُوجِبَةً لِلتَّفَرُّقِ».

أي: الاختلاف في المسائل التي لا يحكم بكفر الواقع فيها أو بتبديعه ما هي؟ المسائل الفقهية التي هي محل الاجتهاد، هناك خلاف سائغ في مسائل الأحكام، وليس في جميع مسائل الأحكام؛ لكن هناك مسائل من الأحكام، هي محل الاجتهاد، الخلاف فيها سائر، إذا اختلف أهل العلم فيها لا يوجب ذلك التفرق، لماذا؟

لأنها مما يقبل الاجتهاد، والضابط لها ما هو: أنها لا توصل إلى كفر، ولا إلى بدعة، ومن البدعة: أن يؤخذ بقول -ولو فقهي- يخالف ما تحققت أنه ثابت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا ابتداع.

أما المسائل الأخرى الفقهية مثل: هل الذهب المعد للاستعمال من قبل النساء، تجب فيه الزكاة، أو لا تجب؟ قولان لأهل العلم، من أراد الاحتياط لنفسه، فالأنسب له، والأحوط له، وهو الراجح والله أعلم: أنه تجب فيه الزكاة؛ لكن الذي يفتي بعدم وجوب زكاته هو عددٌ كبيرٌ من أهل العلم، إذا أخذ أحد بفتواه من العامة، فقال: هذا قولٌ معتبرٌ، قال به غير واحد من أهل العلم، والخلاف في هذه المسألة خلاف في مسألة لا توجب الضابط عنده، لا توجب الكفر، ولا توجب التبديع، وهي المسائل السائغة، السائغ فيها الاجتهاد.

۞ قال المصنف: « وَيَتَرَتَّبُ عَلَى الْإِيمَانِ مَحَبَّةُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ وَعَمَلِهِمْ، وَأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ وَالسَّوَابِقِ وَالْمَنَاقِبِ، مَا فُضِّلُوا بِهِ عَنْ سَائِرِ الْأُمَّةِ».

هم أحق الأمة بالحب بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله اختارهم لصحبة نبيه، وهم الذين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم لهم الفضل على من بعدهم، هم الذين نقلوا لنا القرآن، نقلوا الأحكام، هم الذين

نشروا الإسلام، حتى وصل إلى بقاع كثيرة، وعلموا التابعين، ثم التابعون علموا أتباعهم، ثم اتباعهم، علموا من بعدهم حتى وصل.

فما أذن لمؤذن في أرض الله عَزَّوَجَلَّ إلا وللصحابة أجره، هم الذين علموا الناس الآذان، هم الذين علموا الناس الأحكام، ما قام قائم يصلي من الليل، ما صام صائم إلا بعد أن رووا وبينوا هذه النصوص.

فهم أولى الناس بالحب بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهم من السوابق والفضائل ما لا يمكن أن يدركهم أحد يأتي بعدهم مطلقا لفضل الصحبة؛ ولهذا قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قوم اختارهم الله لصحبة نبيه» فمختارون اختيارا من رب العالمين.

۞ قال المصنف: «وَيَدِينُونَ بِمَحَبَّتِهِمْ وَنَشْرِ فَضَائِلِهِمْ، وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَوْلَى اَلْأُمَّةَ بِكُلِّ خَصْلَةٍ حَمِيدَةٍ، وَأَسْبَقَهُمْ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَأَبْعَدَهُمْ عنْ كُلِّ شَرٍّ».

هذا هو الواجب، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهم فضائل كثيرة جدا، الذي يُنشر فضائلهم فقط، أما ما وقع منهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أمور اجتهدوا فيها، وحصل بينهم -عليهم رضوان الله ورحماته- ما وقع مما اجتهدوا وأرادوا الخير، ولكن منهم من أصاب، ومنهم من أخطأ، فإنه يكف عن نشر ما شجر بينهم، يمسك عنه، ولا يخاض فيه، وَيعتذر عنهم بالذي هم به أولى، إذ هم أولى الأمة بكل خصلة حميدة، وأسبقهم إلى كل خير، وأبعدهم عن كل شر.

۞ قال المصنف: «وَيَعْتَقِدُونَ: أَنَّ اَلْأُمَّةَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْ إِمَامٍ يُقِيمُ لَهَا دِينَهَا وَدُنْيَاهَا، وَيَدْفَعُ عَنْهَا عَادِيَةَ اَلْمُعْتَدِينَ. وَلَا تَتِمُّ إِمَامَتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى».

ذكر هنا ما يتعلق بالإمامة، ويعني بها ولاية الأمر وأن الأمة لا يمكن أن تستغني عن حاكم يقيم للأمة أمر الدين والدنيا، الإمامة لا تصلح دنيا الناس فقط، بل يُصلح الله تعالى بها دينهم، فتقام الشعائر العظام كالجمعة والعيدين والحج والجهاد خلف الأئمة، ويكون الجهاد بإذنهم، والحج والجمعة والعيدان، الأصل أن الذي يقيمها الأئمة، ويصلى خلفهم حتى لو كانوا فجارا، يصلى خلفهم حتى لو كانوا فجارا، بررة كانوا أو فجارا تؤدى هذه الصلوات خلفهم. كما دون ذلك أهل السلف قديما في كتبهم، فقالوا: «والجهاد ماض معهم بررت أو فجارا أيضًا» حتى لا يتعطل الجهاد، ويقيم لها دنياها.

ويحصل الأمن وردع القوي عن ظلم الضعيف، وإقامة مصالح الناس الكثيرة.

❍ **قوله: «وَيَدْفَعُ عَنْهَا عَادِيَةَ الْمُعْتَدِينَ»**، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإِمَامُ جُنَّةٌ، يُتَّقَى بِهِ**» جنة كأنه ترس يتقى به في الحرب؛ لهذا إذا زالت الإمامة في بلد عمت فيه الفوضى، فالإمامة نعمة من نعم الله عَزَّوَجَلَّ، كان أهل الجاهلية لا يعرفون الإمامة مطلقًا، وإنما هما أهل فوضى، فعاشوا أسوأ معيشة، أما في هذه الأمة ولله الحمد، فهناك راعٍ له حقوق وعليه واجبات، ورعية لها حقوق وعليها واجبات، وعلى الجميع أن يتقي كل واحد منهم الله في الآخر، بأن يؤدي له حقوقه تؤدى للطرف الثاني الحقوق التي هي واجبات على الطرف الآخر.

ولن تتم الإمامة إلا بالطاعة، فمعناه: أن يقر الإنسان أن لهم إمامة هذا ابتداء، ولا يقول: أنا لا أقر بإمامة هؤلاء، الله تعالى هو الذي أمكنهم من هذه الولاية، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنْ تُطِيعُوا مَنْ وَلَّاهُم اللهُ أَمْرَكُم**» ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما قدمنا: لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بطاعة؛ ولهذا قال: «**وَلَا تَتِمُّ إِمَامَتُه إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»، فإذا لم يُطَع لم تتحقق الإمامة؛ لكن طاعته لا تكونوا إلا في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، إنما تكون طاعته في غير معصية، فإذا أمر بمعصية فكما في الحديث على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، لا أحد يسمع له ويطاع في المعصية لا إمام ولا غير إمام، فتنتظم مصالح الدين والدنيا بذلك.

۞ **قال المصنف: «وَيَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ، وَإِلَّا بِاللِّسَانِ، وَإِلَّا فَبِالْقَلْبِ عَلَى حَسَبِ مَرَاتِبِهِ الشَّرْعِيَّةِ وَطُرُقِهِ الْمَرْعِيَّةِ».**

عظم شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أمر عظيم، وواجب من الواجبات الكبيرة، التي قَرَنَها الله بالإيمان، وجعل خيرية الأمة من أسبابها: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر درجات، أعلى درجة فيه هي استعمال اليد، بمعنى: أن يزال المنكر ويغير باليد، وهذا لا شك

أنه لمن لهم الأهلية في هذا من أهل السلطة القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كالهيئات ونحوها، فهؤلاء لهم أن يزيلوا المنكر باليد، وإذا تعسر المنكِر وأصر فهو حقيق بأن يعاقب على أيديهم، وأن يحال إلى القضاء الشرعي ليعاقب؛ لأنه لم يكتف بمنكره حتى عاند.

ولهذا: رجل الهيئة إذا عاقبوا المعاند فعلهم صحيحٌ شرعًا؛ لأنه يكفيه أنه فعل المنكر، فإذا أراد أن يقاوم، ليصر على منكره، فإنه لا يُكتفى بعقابٍ واحد؛ لأنه جمع جريمتين، الجريمة الأولى: المنكر الذي ركبه، والثانية: أنه عارض حكم الشرع، بمنعه عن منكره، فلهذا يعاقب شرعًا هذا، **أي:** يعاقب شرع عقوبة أخرى.

وهكذا لو أرادت الشرطة مثلا: أن تقبض على صاحب مخدرات أو غيره وأطلق النار، فيقال: عندك جريمتان، جريمة: المخدرات، وعندك جريمة: أن الذين أرادوا إنكار منكرك قاومتهم، وهكذا يكون الإنكار باليد لمن تحت يدك من زوجة وذرية، ومن أنت عليهم ولي تزيل المنكر بيدك، وإلَّا فباللسان، بأن يأمر المسلمون بعضهم بعضا، وينبه بعضهم بعضا، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، فتنبه أخاك على أن المعروف هو كذا، وعلى أن المنكر الذي وقع فيه خطأ ونحو ذلك.

فإن لم يمكن لا الإنكار باليد، ولا باللسان، فإنه ينكر بقلبه، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل؛ ولهذا من الأمور الخطيرة جدًّا، موت المنكر في القلب؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»، فإذا كنت تعجز: أن تنكر المنكر بيدك، بلسانك، فأقل أحوال أن تبغضه، لا أن تفرح به، وأن ينتشر، وأن يفشو في المسلمين، هذا خطيرا جدًّا عليك؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**».

فبغض المنكر بالقلب لا شك أنه درجة متحتمة ليس بعد هذه الدرجة من الإيمان حبة خردل؛ لكن قال: «**عَلَى حَسَبِ مَرَاتِبِهِ ٱلشَّرْعِيَّةِ وَطُرُقِهِ ٱلْمَرْعِيَّةِ**» فإن الذي يريد أن ينكر المنكر، ينكر بالطريقة الشرعية السليمة، ولا ينكر بطريقة هي منكرة أيضًا؛ لأن ذلك مما يسبب الفساد ولا يؤدي إلى الإصلاح.

۞ **قال المصنف: «وَبِالْجُمْلَةِ فِيرُونْ ٱلْقِيَامِ بِكُلِّ ٱلْأُصُولِ ٱلشَّرْعِيَّةِ عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلشَّرْعِيِّ مِنْ تَمَامِ ٱلْإِيمَانِ وَالدِّينِ وَمِنْ تَمَامِ هَذَا ٱلْأَصْلِ».**

هذا ذكرٌ لاعتقاد أهل السنة بعمومه، لو قيل لك: ما اعتقاد أهل السنة عموما؟ الجواب: هذا هو،

القيام بكل الأصول الشرعية، على الوجه الشرعي، مهما عددنا نقول هذا إجمالا، كل الأصول الشرعية التي أتت يقام بها على الوجه الشرعي.

۞ قال المصنف: «اَلْأَصْلِ اَلْخَامِسِ: طَرِيقُهُمْ فِي اَلْعَلَمِ وَالْعَمَلِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ اَلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَعْتَقِدُونَ، وَيَلْتَزِمُونَ أَنْ لَا طَرِيق إِلَى اَللهِ وَإِلَى كَرَامَتِهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ اَلنَّافِعِ، وَالْعَمَلِ اَلصَّالِحِ، فَالْعِلْمُ اَلنَّافِعُ، هُوَ مَا جَاءَ بِهِ اَلرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كِتَابِ اَللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَجْتَهِدُونَ فِي مَعْرِفَةِ مَعَانِيهَا وَالتَّفَقُّهُ فِيهَا أُصُولاً وَفُرُوعًا».

هذا الأصل الخامس في مسلك ومنهج أهل السنة، في طريقهم إلى الله، طريقهم طريق علمي ليس طريق جهل، وخزعبلات، علم وعمل، والذي ليس عنده علم يسأل أهل العلم، فلا يعمل إلا عن علم، إما أن يكون من أهل العلم فيعمل عن بصيرة مما علم، وإما ألا يكون من أهل العلم فيسأل أهل العلم ولا يعمل بدون علم.

قال البخاري -رحمه الله تعالى-: «باب العلم قبل القول والعمل»، وقال الحسن وعمر بن عبد العزيز: «من عمل قبل أن يعلم، أو قالوا: من تعبد قبل أن يعلم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح».

فلا ينطلق في العبادة أو في الدعوة إلى الله، وهو على غير علم، وإلا أفسد أكثر مما يصلح، فهذا منهج أهل السنة والجماعة، ومسلكهم: أن الطريق إلى الله لا يكون إلا بالعلم النافع والعمل الصالح.

العلم النافع هو ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «النونية»:

والعلـــــم معرفـــــة الهـــــدى بدليلـــــه

هذا معنى العلم: أن تعرف الهدى لا الضلال، وأن تعرف الهدى بالدليل، هذا هو العلم الحقيقي، فالعلم النافع: ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كتاب الله، وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يجتهدون في معرفة معانيها، والتفقه فيها أصولًا، أي: اعتقادًا، وفروعًا، أي: في الأحكام.

۞ قال المصنف: «وَيَسْلُكُونَ جَمِيعَ طُرُقِ اَلدَّلَالَاتِ فِيهَا، دَلَالَةُ اَلْمُطَابَقَةِ، وَدَلَالَةِ اَلتَّضَمُّنِ، وَدَلَالَةِ اَلِالْتِزَامِ، وَيَبْذُلُونَ قُوَاهُمْ فِي إِدْرَاكِ ذَلِكَ، بِحَسَبِ مَا أَعْطَاهُمْ اَللهُ».

هناك دلالات معتبرة، يسلكون الدلالة التي توصل إلى الحق، وما ذكره هنا من الدلالات دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة التزام، المراد بدلالة المطابقة: دلالة اللفظ على جميع معناه، دلالة

التضمن: تفسير اللفظ ببعض مدلوله، أو بجزء من معناه.

أما دلالة الالتزام، فهي الاستدلال باللفظ على غيره، الاستدلال باللفظ على غيره.

مثال: اسم الخالق، يدل على ذات الله عَزَّوَجَلَّ، وعلي صفة الخلق بالمطابقة، يدل على الذات وحدها بالتضمن، وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن؛ لكن بالمطابقة يدل على الذات وعلى الصفة.

ويدل على صفتي العلم والقدرة، بالالتزام، وذلك أن الخالق لا يخلق إلَّا وهو قادر، ولا يخلق إلَّا وهو يعلم، هذا معنى الدلالات التي ذكر المثال عليها.

۞ قال المصنف: «وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ اَلْعُلُومُ اَلنَّافِعَةُ، وَكَذَلِكَ مَا تَفَرَّعَ عَنْهَا مِنْ أَقِيسَةٍ صَحِيحَةٍ وَمُنَاسَبَاتٍ حَكِيمَةً، وَكُلُّ عِلْمٍ أَعَانَ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ وَآزَرَهُ، أَوْ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ عِلْمٌ شَرْعِيٌّ، كَمَا أَنَّ مَا ضَادَّهُ وَنَاقَضَهُ، فَهُوَ عِلْمٌ بَاطِلٌ، فَهَذَا طَرِيقُهُمْ فِي اَلْعَلَمِ».

طريقهم في العلم ما تفرع عن هذه الدلالات من الأقيسة الصحيحة؛ لأن هناك قياس فاسد، فالمقصود القياس الصحيح، والمناسبات السليمة الحكيمة، وكل علم أعان على فهم ذلك فهو داخل في العلم الشرعي، وما ضاد ذلك فهو باطل.

نعلم أنه باطل؛ لأنه خالف العلم الشرعي، هذا مسلكهم في العلم.

۞ قال المصنف: «وَأَمَّا طَرِيقُهُمْ فِي اَلْعَمَلِ، فَإِنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اَللهِ تَعَالَى بِالتَّصْدِيقِ وَالِاعْتِرَافِ اَلتَّامِّ بِعَقَائِدِ اَلْإِيمَانِ اَلَّتِي هِيَ أَصْلُ اَلْعِبَادَاتِ وَأَسَاسُهَا. ثُمَّ يَتَقَرَّبُونَ لَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِ اَللهِ اَلْمُتَعَلِّقَةِ بِحَقِّهِ، وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، مَعَ اَلْإِكْثَارِ مِنْ اَلنَّوَافِلِ، وَبِتَرْكِ اَلْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ تَعَبُّدًا للهِ تَعَالَى».

طريقهم في العمل، يتقربون إلى الله بأمر العقيدة نفسها، ما يتعلق بالقلب تصديقًا واعترافًا، ما يتعلق بأعمال القلب أيضًا، يتقربون إلى الله بالفرائض التي أوجبها ويكثرون من النوافل، ويتركون المحرمات هذا مسلكهم في العمل.

۞ قال المصنف: «وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اَللهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا كُلَّ عَمَلٍ خَالِصٍ لِوَجْهِهِ اَلْكَرِيمِ، مَسْلُوكًا فِيهِ طَرِيقَ اَلنَّبِيِّ اَلْكَرِيمِ، وَيَسْتَعِينُونَ بِاَللهِ تَعَالَى فِي سُلُوكِ هَذِهِ اَلطُّرُقِ اَلنَّافِعَةِ، اَلَّتِي هِيَ اَلْعَلَمُ اَلنَّافِعُ وَالْعَمَلُ اَلصَّالِحُ اَلْمُوصِلَ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَفَلَاحٍ وَسَعَادَةٍ عَاجِلَةٍ وَآجِلَةٍ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اَللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا».

أشار في الأخير إلى شرطي قبول العمل «يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا كُلَّ عَمَلٍ خَالِصٍ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ»، الذي يكون قد اتبع فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن شرطا قبول العمل: الإخلاص والمتابعة، فيسلكون هذا المسلك ويستعينون بالله على ذلك حتى تأتيهم آجالهم وهم على ذلك -رحمة الله تعالى عليه وغفر الله له-.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد(١).

ألقيت هذه الدروس في السابع عشر من شهر جمادى الآخر
سنة ألف وأربعمائة وواحدٍ وأربعين من الهجرة النبوية
بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية، الرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.

(١) نهاية الدرس الثاني.